

بِاللّٰهِ نَكْتَفِي  
وَبِرَسُولِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
نَقْتَدِي

بقلم  
د/هيثم أبوطالب

## المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب، مجري السحاب، هازم الأحزاب، ذي الطول، شديد العقاب، سبحانه الأحد القهار، مقدر الأقدار، مكور الليل على النهار، خالق الإنسان، مسخر الأكوان، باعث الرسل بالبيان، لا إله إلا هو الواحد الديان.

والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، محمد بن عبد الله، نور الهدى والحق المبين، الرحمة المهداة للعالمين، شفيعنا يوم الدين، وإمامنا على الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد

فقد ميز الله عز وجل أمتنا بالوسطية والاعتدال فقال تعالى في سورة البقرة (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)، كما ذم سبحانه الغلو والتقول على الله بغير علم فقال تعالى مخاطباً أهل الكتاب في سورة النساء (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ).

والغلو في التفكير له عواقب وخيمة، فصاحبها يسقط في متوالية من الأفكار الفاسدة التي تجعله يرى كل من حوله مخطئاً وقد يصل به الأمر إلى تكفيرهم أو جعلهم مشركين بالله، بل وقد يتمادى وينزل أحكام المشركين عليهم.

وقد ينتج الغلو الجفاء تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدية الذي تركه لنا - وهو ما يعرف بمنكري السنة في عصرنا الحديث-، أوقد ينتج النقيض لهم الذين يغالون في مدح أهل البيت والصالحين وينزلونهم منازل فوق ما أنزلهم الله عز وجل إياها مخالفين بذلك هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نقله لنا الإمام البخاري في صحيحه حيث قال (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله).

والواجب علينا أن نستمسك بالوسطية والاعتدال فيما نعتقده من أفكار، وأن نحذر من السقوط في هذه المزالق الخطرة، وأن نختار ما نقرأه أو نستمع له بعناية، فليس كل ما يقال يستحق أن يستمع له، فمما ندم عليه أهل النار - عياداً بالله - الخوض في أي شيء، لأننا سنحاسب على كل ما نقوله ونفعله أو نقترفه بالجوارح كما قال تعالى في سورة المدثر (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) ، والخوض في آيات

الله دون علم أو هدى نتبعه من الأمور التي نهانا الله عز وجل عنها كما قال تعالى في سورة الأنعام (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)، وهذا تعظيماً لكلام الله وحتى ننزله المنزلة التي تليق به، فلا يكون مادةً للسخرية والاستهزاء في المجالس، ولا يتخذها البعض مظنةً في القول على الله بغير علم، أو أن يخرجوا بأحكام وأفكار تخالف مراد الله عز وجل وقال تعالى في سورة الأنعام (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)

ولهذا فامتلاك العلم والأدوات التي تمكّنك من الفهم الصحيح أمر واجب قبل أن تخوض في أي أمر، وهذا هدي رباني أمرنا به الحق عز وجل في سورة الإسراء في قوله تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦).

وقد توجهت في كتابي الثاني من سلسلة (مناقشات فكرية معاصرة لمنكري السنة النبوية المطهرة) لتثبيت أمر شديد الأهمية يمس عقيدة المسلمين وهو (حجية السنة) وكيف أنها مصدر هام من مصادر التشريع في الإسلام، ورأيت أن أخصص الكتاب لمناقشة أبرز الاعتراضات التي يثيرها البعض على حجية السنة في عصرنا الحالي، ووجدت أن أغلب هذه الاعتراضات قدمها الكاتب (د. أحمد صبحي منصور) في كتابه (القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي) والذي طبعته دار الانتشار العربي عام ٢٠٠٥م) ولهذا رأيت أن نناقش ما أثاره الكاتب من اعتراضات على حجية السنة لتكون مرجعاً لمن قرأ هذا الكتاب أو تأثر بما فيه.

وحتى لا يتشتت القارئ تركت ما أثاره الكاتب على الأحاديث والأمور الفقهية واستعرضت ما أثاره على حجية السنة فقط في فصليه الأول والثاني في إيجاز غير مخل مع محاولة إبراز أهم النقاط التي تؤسس لتكوين الفكرة الصحيحة وفق منهجية وقواعد سليمة.

وأسأل الله أن يرينا الحق حقاً وأن يرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً وأن يرزقنا اجتنابه، وأن يتقبل منا ما قدمه وأن يجعله من العلم الذي ينتفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

كتبه

هيثم بن زكريا أبوطالب

١٤٤٧

## الفصل الأول

هل القرآن هو المصدر الوحيد  
للتشريع في الإسلام؟

المبحث الأول

مناقشة الادعاء

أن القرآن هو الكتاب الوحيد للمسلم

استهل المؤلف كتابه في فصله الأولى بعنوان (القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للإسلام) والذي حاول فيه الاستدلال على أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد للمسلم وساق الأدلة الآتية:

\* قوله تعالى في سورة الكهف (مَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)

\* قوله تعالى في سورة الجن (قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَن أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢)

وكان هذا في سياق كلامه على أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس لديه إلا (القرآن) ملتحدا وملجأ.

وقبل أن نكمل لفقرته التالية لابد لنا أن نقف مع أسلوبه في الاستدلال والإشكال الذي وقع فيه عن عمد أو غير عمد.

### قام المؤلف بالسقوط في الانحياز التأكيدي

حيث فرض فرضية ثم بعدها قام بالبحث عن الأدلة التي تدعم فرضيته، حتى ولو كان استدلاله بهذه الأدلة مخالفا للسياق الذي وردت فيه، ولا إشكال عنده أن يلوي عنقها كي تتلاءم مع فكرته، وهذا ما يتضح في كتابه لذا نجده يقوم دائما ب:

\* البحث الانتقائي: عن المعلومة التي تدعم فكرته وإهمال غيرها مما ينقض هذه الفكرة

\* التفسير المنحاز: وكيف يصر على أن تكون الآيات منسجمة مع فكرته حتى ولو كان السياق مخالفا لهذه الفكرة

ولذلك فالاستنتاجات التي يخرج بها لا تكون صحيحة.

وهذه المغالطة الفكرية هي ما يلخص منهج منكري السنة وكل أفكارهم تتلخص في قيامهم بالانحياز التأكيدي تجاه أفكارهم التي يطرحونها.

ومثلا في هذه الفقرة المؤلف يريد أن يجعل الآيات التي تتحدث بوضوح عن الاكتفاء واللجوء إلى الله فجعلها تعني اللجوء إلى القرآن!

وهذا تغيير لمعاني الآيات وتقول على الله عز وجل، لأن اللجوء إلى الله ليس بالضرورة يكون باللجوء إلى القرآن، وليس لأن اللجوء للقرآن هو لجوء لله عز وجل، يستلزم منه أن يكون اللجوء إلى الله حصرا في اللجوء إلى القرآن الكريم هذا كلام لا يقول به أي أحد!

فالله عز وجل سميع بصير، عليم خبير، يعلم الغيب وأخفى، سبحانه أقرب لنا من حبل الوريد، لا نحتاج أكثر من دعائه والتضرع إليه حتى نلجأ له ونعتصم به فقال تعالى في سورة المؤمنون (وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَدَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) فالاستكانة والتضرع بين يدي الله والتوبة إليه هي لجوء إليه واعتصام به ، وهذا الاعتصام به من شروط الإيمان به كما قال تعالى في سورة النساء (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>ط</sup> وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦)

كما أن دعائه سبحانه من أجل العبادات وأيسرها لهذا أمرنا به في قوله تعالى في سورة غافر (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ<sup>ط</sup> إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)

وأوضح سبحانه كيف أن للنجاة من الشدائد والكربات نحتاج لدعائه والتضرع له ، بل وهذا منهج الأنبياء المكرمين كما جاء في سورة الأنبياء وذكر لنا كيف كان يدعو كل نبي فيستجيب له الله عز وجل فقال تعالى ( وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَيْ مَسْنِي الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ<sup>ط</sup> وَأَنْبِيَاءَ أَهْلِهِ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ<sup>ط</sup> كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاَهُمْ فِي رَحْمَتِنَا<sup>ط</sup> إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ<sup>ط</sup> وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَذَكَرَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ<sup>ط</sup> إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا<sup>ط</sup> وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)

كذلك أخبرنا تعالى أنه قريب مجيب للداعي إذا دعاه كما قال في سورة البقرة (إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ<sup>ط</sup> أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ<sup>ط</sup> فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)

أي أن القرآن به العديد من الآيات التي توضح أن اللجوء إلى الله يكون بدعائه والتقرب إليه بالطاعات، وليس فقط بقراءة القرآن كما يزعم المؤلف.

ثم انتقل المؤلف لفقرته التالية في الحديث عن اكتفاء المؤمن بالله ربا وبالقرآن كتابا في الهداية والتشريع

ولا خلاف لدينا في ضرورة الاكتفاء بالله ربا وعدم اللجوء لغيره سبحانه ، لكن الإشكال ظهر عنده في كلامه عن الاكتفاء بالقرآن كتابا ( في الهداية والتشريع ) فالمؤلف وضع جملة ( الهداية والتشريع ) ثم استدل بقوله تعالى من سورة العنكبوت ( أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) ) والناظر للآية يعلم أنها في سياق الحديث عن شيء ما فكان الرد عليهم بقوله تعالى ( أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ ) لذا استقطاعها لا يوضح كامل المعنى ولا بد من معرفة السياق الذي جاء فيه الرد من الله عز وجل بقوله تعالى ( أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ )

فقال تعالى ( وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۗ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢) )

وكما نرى حين استعرضنا الآيات كاملة، سياق الآية التي استقطعها الكاتب جاءت للرد على ادعاء (الكفار) وليس (المؤمنين كما زعم المؤلف أن الخطاب للمؤمنين أن يكتفوا بالقرآن)

فالكفار ادعوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بآيات وعلامات واضحات أنه مرسل من الله سبحانه فكان الرد من الله سبحانه ( أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) ولهذا من رحمته أن جعل القرآن حجة قائمة إلى أن يشاء الله وذكرى لمن يتذكر ويعتبر.

**والأمر الأخير أن الآية لم يذكر فيها شيء عن (التشريع)**

فنحن وإن كنا لا خلاف لدينا من ضرورة الاحتكام لكتاب الله وأحكامه إلا أن المؤلف لم يستدل على ادعائه بالاكتفاء بالقرآن في (الهداية والتشريع).

كما أن القرآن أحال الحكم في كفارة الصيد عند الحرم لاثنتين عدول من المؤمنين ولم يفصل لنا هذه الكفارة فقال تعالى في سورة المائدة ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۗ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُمْ صِيَامًا لَّيَذُوقُوا وَعَالَ أَمْرُهُ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۗ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥) )

لذا فاستدلاله بهذه الآية على ادعائه استدلال معيب، بل وخالف القرآن الذي أحال في الحكم لخارج القرآن.

## وأما بخصوص الهداية

الهدى أمر يختص به الله عز وجل وحده، فهو سبحانه يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ، ولهذا قال تعالى (قل إن هدى الله هو الهدى)، وقال أيضا (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ) وبين أن من حكم عليه بالضلال فلن يجد أبداً سبيلاً للهدى كما قال تعالى (مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)

والهدى عمل من أعمال القلوب كما قال تعالى على لسان المؤمنين في سورة آل عمران (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) ، والله سبحانه مطلع على القلوب وخفاياها ، ويعلم ما في النفوس ونواياها، فمن رأى صدق نيته في طلب الهدى والحق سيوفقه لاتباع الهدى ويشرح صدره له ، ومن رأى عياداً بالله في قلبه غير ذلك، لم يوفقه لتقبل الهدى فتجده ينفر من آيات الله ولا يقبلها كما قال تعالى في سورة الأنعام (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ).

وبعض الناس يظن أن الأجساد فقط هي التي تمرض ولكن الله عز وجل أخبرنا أن القلوب أيضا تمرض بالبعد عن الله وتقسو ولا تجد أثراً عليها عند سماعها لآياته، بل وقد يزيد سماع الآيات الله قسوة إلى قسوتها، بخلاف القلوب المتصلة بربها وتسعى لرضوانه، فهذه هي القلوب السليمة التي تعيش في سلام حتى تلقى ربها عز وجل.

هذه القلوب هي من تجدها في كل آية تزداد إيماناً و يقيناً بالله، ويستبشرون بلقاءه وبما أعده لعباده المؤمنين، وهذا ما وصفه الله عز وجل في قوله تعالى في سورة التوبة (وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)).

والله عز وجل اختص لنفسه بإذن المرض وإذن الشفاء للأجساد وللقلوب ، وجعل للمرض أسباباً وللشفاء أيضاً أسباباً ، وجعل جميع الأسباب متاحة ويسهل الوصول إليها ، فكما أننا نستعين بالملابس الثقيلة لتقينا برد الشتاء، ونعرف النافع والضار من المأكول والمشرب، أرسل الله عز وجل لنا رسله مبشرين ومنذرين، ويحملون آيات الله وأوامره ونواهيته، يهدون الناس ويدلونهم إلى صراط الله المستقيم ، فمن اتبع الرسل واهتدى بآيات الله فقد أفلح، ومن أبى فلن يعرف أبداً للهدى طريقاً، ويظل يتخبط كالأعمى في هذه الدنيا، وهذا ما قاله الله عز وجل عن ثمود (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). فهم اهتدوا لمعرفة الله بأن أرسل الله عز وجل لهم رسولهم صالح عليه السلام وأيده بالآيات والعلامات الدالة على صدقه عليه السلام، كالناقة وابنها، فكانت أدلة واضحة أقامت الحجة والبرهان على وجود الله وعلى صدق رسوله عليه السلام، ولكنهم فضلوا

البقاء في ضلالهم وأبوا أن يتبعوا هذه الأدلة مع رسولهم الذي أرسله الله عز وجل إليهم، بل وحاربوه، وقتلوا الناقة فأهلكم الله عز وجل واستحقوا عقابه.

ومن كمال حكمة الله عز وجل أنه لم يخلق الناس ويتركهم دون أن يبين لهم لماذا خلقهم، وماذا يريد منهم؟ وماذا يفعلون لينالوا رضاه؟ وما الذي يغضبه فيجتنبوه؟ ولهذا أرسل الرسل للناس يحملون إجابات عن هذه الأسئلة وغيرها فلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ويهدون الناس إلى صراط الله المستقيم، وهذا ما قاله الله عز وجل للرسل صلى الله عليه وسلم (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)، وجعل في اتباعه الهداية إلى الله عز وجل على بصيرة ونور كما قال تعالى في سورة يوسف (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ، عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ومع ذلك أعلم الله رسوله أنه فقط وسيلة للهداية، وليس عليه أن يهدي الناس أو يضلوا، فهذا الأمر يتركه لله عز وجل كما قال تعالى في سورة البقرة (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء).

وكذلك القرآن وكلام الله هو وسيلة ليهدي بها الناس كما قال تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)، وفي نفس الوقت أخبرنا الله عز وجل أن بعض الناس عند سماعهم للقرآن لا يزدادون إلا نفورا منه كما قال تعالى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)، وهذا لأن القرآن وسيلة تهدي بها القلوب الصادقة في طلب الهدى واتباع دين الحق، وأما الذين قست قلوبهم فهو عليهم عمى كما قال تعالى (قُلْ هُوَ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى، أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ)،،

ونعوذ بالله أن يكون هذا حالنا مع كتاب الله

ختاماً الهدى أمرٌ خاص بالله وحده، يمنُّ به عز وجل على من وجد في قلبه أنه صادق في طلب الهدى وفي طلب ما عند الله وأعد له لعباده المؤمنين ولم يغتر بزينة الحياة الدنيا، وأما من استحب الدنيا على الآخرة سيجد نفسه ينشرح صدره للفتن وللکفر عيادا بالله وخسر خسرا مبينا وهذا ما حذرنا الله منه في قوله تعالى (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْکُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩)

ونختم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ونسأل الله أن يهدينا وألا يزغ قلوبنا بعد أن يهدينا حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

المبحث الثاني

مناقشة الادعاء

أنه لا ينبغي اتباع الظن

ومناقشة ما هو الحق

ناقش المؤلف في فقرة جديدة بعنوان (القرآن هو الحق الذي لا ريب فيه وما عداه ظن ولا ينبغي اتباع الظن)

فقال في الصفحة السادسة عشر (ودين الله الحق لا يقوم إلا على الحق اليقيني الذي لا ريب فيه حتى لا تكون للبشر حجة على الله ولهذا ضمن الله حفظ كتابه من كل عبث أو تحريف

واستدل بقوله تعالى في سورة الحجر (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) وقوله تعالى في سورة فصلت وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)

وقال أن الله يأمر باتباع الحق والإعراض عن المعتقدات القائمة على الظن مستدلاً بالآيات التالية (وَمَا يَتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٦) يونس

(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۚ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۚ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (الأنعام ١٤٨).

(وَمَا يَتَّبِعِ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (يونس ٣٦)

(إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ (النجم ٢٣)

وبعد أن سرد هذه الآيات قام برد الأحاديث لكونها ظنية الثبوت مثلما وصفها علماء الحديث ولا تفيد اليقين

وبعدها أورد آيات تصف القرآن وكلام الله هو الحق مثل (فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۚ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۚ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢) يونس) (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) الإسراء، (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) وغيرها من الآيات التي تصف كلام الله عز وجل أنه الحق

**والمؤلف أيضا قام بالانحياز التأكيدي في طرحه الذي طرحه وذلك من خلال:**

أولاً: تفسيره المنحاز، فالآيات التي أوردها عن ذم الظن، كانت في إطار الحديث عن المشركين بالله الذين يدعون من دونه شركاء، وبين سبحانه في كثير من المواضع أن هذا الظن مذموم لكونه ليس عليه دليل، لذا تفسيره للآيات كان قاصراً أراد به الانحياز نحو ذم الظن دون تبين سبب هذا الذم.

فقال تعالى (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۗ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ

**فالحق سبحانه قبل أن يذم اتباع الظن، بين أنه لا دليل عليه، ولا علم سليم يبين صحة معتقدهم وكلامهم، ولهذا هو مجرد ظن وأوهام لا دليل عليها.**

وهذا الفرق بينه وبين العلم الرباني والذي يهدى للحق فقال في سورة النجم (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۗ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ) (٢٣)

ثانيا: المؤلف قام بالبحث الانتقائي عن الأدلة التي تدعم فكرته وبذل جهدا في استقراء الآيات التي ذم الله عز وجل فيها الظن، وترك عن عمد أو عن غير عمد الآيات التي (مدح فيها الظن)

فقال تعالى في سورة الحاقة واصفاً حال أحد أهل الجنة (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)

فانظر كيف وصف الله عز وجل حال الرجل وكيف أوتي كتابه باليمين ودخل الجنة جزاءً بما عمل في الدنيا وهذا بسبب (ظنه أنه ملاق حسابه)، فهل هنا الظن ورد في إطار الذم أم المدح؟

بالتأكيد المدح، لماذا؟ لأن ظن الرجل معه دليل وهدى من الله فاتبع الهدى والدليل وعمل الصالحات فكان من الفائزين، وهذا ما أكده سبحانه في سورة البقرة في قوله تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۗ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)

ثالثا: المؤلف استدل من القرآن بقطعية آيات القرآن وأنها حق اليقين وهذا استدلال دائري لا يعتد به، لأنه ببساطة أصحاب الملل الأخرى يستدلون بكتبهم على أنها حق وسيكتفون بما يجدونه مكتوبا عندهم ويتركون أي أحد يخاطبهم عن وجود معتقدات خاطئة عندهم.

وقد يغلب البعض العاطفة ويقول كيف والقرآن وصف نفسه بأنه حق ويقين، ومنزل من الله الحق فنقول له الأمر ليس بهذه العاطفة فالله عز وجل قال أن هناك من يكتب

الكتاب بيده وينسبه لله عز وجل فما دليلك على أن هذا لم يحدث مع القرآن فقال تعالى  
(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ شَيْءٌ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا ۗ  
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)

وطبعا من يقول أن الله عز وجل تعهد بحفظ الكتاب والدليل قوله تعالى (إنا نحن نزلنا  
الذكر وإنا له لحافظون) نقول له وما دليلك أن هذه الآية نزلت من عند الله ولم يكتبها  
أحد ويدسها وسط القرآن؟

لهذا الاستدلال الدائري معيب ولا تقوم به الحجة بطريقة صحيحة.

ونحن نؤمن بحفظ الله عز وجل لكتابه فحفظه بطريقتين مختلفتين وتواترت كل طريقة  
منهما، ونقلها الجمع الغفير عن الجمع الغفير من أهل الضبط والحفظ والإتقان،  
والخوف على كلام الله وتحري الصدق في نقله.

### وأول طريقة لحفظ القرآن كانت في صدور الذين أوتوا العلم

وهي ما وصفها الله عز وجل في كتابه في سورة العنكبوت في قوله تعالى (وَكَذَلِكَ  
أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۗ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۗ وَمَا  
يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۗ إِذَا  
لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۗ وَمَا يَجْحَدُ  
بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩)

### والطريقة الأخرى هي حفظه في سطور المصاحف مبكراً بين أظهر الصحابة الذين شهدوا التنزيل

فجمعه الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه الجمع الأول في مصحف، ثم قام بالجمع  
الثاني الخليفة عثمان رضي الله عنه، وهذا المصحف العثماني الذي جمعه هو نفسه ما  
بين أيدينا والله الحمد، لذا من قام في أمتنا بجمع كتاب الله وترتيب السور والآيات هم  
أنفسهم من شهدوا تنزيله ونزل بينهم وسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم  
يختلفوا والله الحمد عليه بل ولم تختلف الأمة من بعدهم على كتاب ربها كما اختلفت  
الأمم الأخرى.

ولذلك نقول نحن نملك اليقين ( في صحة نقل كتاب الله لنا) وأنه بين أيدينا كما نزل  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ندعي هذا الكلام دون أدلة صحيحة بل نمتلك  
الأدلة العقلية السليمة التي تؤيد هذا الادعاء، وشتان بين من كان إيمانه راسخاً قائماً

على أدلة صحيحة، وبين من كان معتقده هشاً لا يملك دليلاً عليه، فيسهل أن تعصف به فتن الشبهات عياداً بالله.

وأخيراً حين نقارن الأحاديث وأنها ظنية، فنقول نحن نملك من الأدلة والقرائن التي تؤيد هذا الظن، وأن الأحاديث حفظت ونقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقة سليمة، وهذه الأدلة هي نفس الأدلة على صحة نقل القرآن فالقرآن نقل في الصدور والأحاديث نقلت في الصدور، والقرآن نقل في السطور، والأحاديث نقلت في السطور وتدوين الأحاديث كان مبكراً، والمصنفات الحديثية كانت مبكراً، والفرق بينهما أن الأحاديث غير محصورة بعدد فلا نعرف عددها كما نعرف عدد الآيات.

ولكن الله عز وجل سخر رجالاً كانت لهم همم كالجبال، فكانوا يتتبعون كل من يتقول عن رسول الله كلاماً ليعلموا دينه وهل هو من أهل الصدق والأمانة؟ وهل هو ممن يضبطون ويحفظون الحديث أم له أوهام؟ وهل تلقى الحديث عن شيخه حقاً بطريق صحيح يصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم هناك انقطاع في الإسناد؟

وهل الحديث سمعه غيره وله شواهد ومتابعات، أم هو متفرد فيه؟ وهل الحديث خالف غيره من هو أحفظ منه أم لا؟

كثير من الأسئلة كان يسألها نقاد الأحاديث نتج عنها كثير من الأدلة التي تصف الحديث هل هو صحيح أم ضعيف ثم نقول بعد كل هذه الأدلة الأحاديث ظنية الثبوت ولا يعمل بها!!!

وماذا بالله عن الأدلة التي معها، ألا تكفي لتكون حجة لنا أو علينا حين نحاسب بين يدي الله سبحانه؟

وهل هذه الأدلة لا توجب العمل بها لمجرد وصفها بالظن؟

بالتأكيد توجب العمل بها، ونحن نعمل بالظن في كثير من الأمور الهامة في حياتنا، ولعل الأنساب أشهرها، فالأنساب (ظنية الثبوت) وأخبار آحاد، ولم تشهد الأمة جميعاً كل زيجة تتم، ولا كل مولود نتج عنها ونكتفي بما يتناقل من أخبار عنها، وكذلك يتوجب العمل بها ويترتب عليها حقوق المواريث، والقاضي في المحكمة يحكم بما ترجح له من الأدلة وحكمه واجب التنفيذ ويكون مأجوراً على اجتهاده في دراسة الأدلة والترجيح بينها حتى يخرج الحكم الذي يغلب على ظنه أنه الأقرب للصواب.

لهذا أيضاً القول أن ظنية الثبوت وأخبار الآحاد لا يعمل بها هو قول ينافيه الواقع، والأصل أن نتكلم عن الدليل لا عن الوصف للحديث، وهل الدليل يوجب العمل به أم لا يكفي للعمل به لأن الدليل هو حجتنا بين يدي الله عز وجل.

أمر أخير يخص حفظ القرآن، هل هو حفظ لحروفه فقط أم حفظ لحروفه وبيانه؟

حتى نفهم السؤال دعنا نسمع قوله تعالى في افتتاح سورة آل عمران (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...)

فهو أخبرنا أنه أنزل الحق في الكتاب، والحق له صفات وردت في كتاب الله نذكر منها:

• أن الحق ليس له إلا وجه واحد وما عداه باطل كما قال تعالى في سورة يونس (فَدَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)

• وجعل الحق هو الفيصل والحكم بين الناس وهذا ما أكده قوله تعالى في سورة النساء (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ....)

وقوله أيضا في سورة البقرة (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...)

• وجود الحق يزيل كل باطل كما قال تعالى في سورة الأنبياء (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)

• والحق دائما يقوم على أدلة وبراهين صحيحة بعكس الباطل لا برهان عليه.

كما قال تعالى أيضا في سورة الأنبياء (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ).

• ومن أهم ما يميز الحق أنه لا يكون نسبيا تبعا لهوى كل شخص وهذا لأن اتباع

الهوى وترك الحق ينتج عنه مفسدة عظيمة كما قال تعالى في سورة المؤمنون (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكْثَرُ هُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ...)

وبهذا يتضح لنا أن القرآن أنزله الله عز وجل ليس فقط ليكون كلاماً يتلى ويفهمه كل شخص وفق هواه، وإنما أنزله بالحق الواضح الفاصل الحكم بين الناس.

وهذا يوجب أن يكون بيان القرآن من عند الله وهذا ما قاله عز وجل (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)، وعدم وجود البيان الشافي الفاصل لا يجعل للحروف قيمة.

وهذا الحق وبيانه جاءنا من الله عز وجل مع رسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال

تعالى في سورة النساء (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠) وقال

تعالى في سورة المائدة (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِئْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(١٩)

ولنأخذ مثالا بسيطاً لنوضح به الأمر:

قال تعالى (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَّدَ عَلَيْكُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ). لو لم يعرف الناس من هو الزاني ومن هي الزانية فإذن لن يقام أبداً حد الزنا، وهكذا يصبح لدينا النص بلا قيمة فعلية ولا نستطيع تطبيقه، وهذا بالطبع ينافي كمال حكمة الله عز وجل فهو منزله عن أن ينزل علينا كلاما بلا قيمة.

وقس على هذا كل الأحكام والتشريعات مثل وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأتموا الحج والعمرة لله، لو لم يعرف الناس ماهي الصلاة المطلوب إقامتها، وما قيمة الزكاة المفروضة عليهم، وما الحج وما العمرة الذين أمر الله بإتمامهما، فإذن النص القرآني يكون بلا قيمة وحاشاه.

بل وهذا ينافي ويضاد كمال الدين، فكمال الدين يعني وضوح كل صغيرة وكبيرة من الأحكام والتشريعات والأوامر والنواهي التي نزلت من عند الله!

وسبحانه ينزل ما يشاء ويختار تبيينه كيفما يشاء، فما شاء وضحه بين سطور كلامه، وما شاء أوكل لرسوله شرحه وبيانه كما قال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)، والبيان ليس فقط ضد الكتمان وانما لا بد أن يشمل شروحا وتوضيحات وهذا ما يثبت منكر السنة لقوله تعالى (تبيينا لكل شيء) فهم في تفسيرهم لهذه الآية يثبتون أن البيان به شروحات وتوضيحات، وعند بيان الرسول يقول هو عكس الكتمان،، والأمر عندهم ليس إلا اتباعاً للهوى، فالبيان يشمل اظهار الشيء ويشمل شروحات وتوضيحات وهذه من وظائف الرسول كما قال تعالى

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)

والله عز وجل حين أخبر عن اكتمال الدين كان هذا مع رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبر أن طاعة الرسول من طاعة الله (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) - النساء- وأنه وجب علينا ألا نخالف قضاء الرسول واحكامه كما قال تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا).

بل إن من يرفض الاحتكام للرسول نفي عنه الله عز وجل الإيمان كما قال تعالى في سورة النساء (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

وكم ممن يزعم أنه مؤمن بالله وما هو بمؤمن كما وصفهم الله عز وجل في بداية سورة البقرة (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ  
مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ).

لذا فكلام الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم هما أصل التشريع في الإسلام، ولم  
يعلم مخالف لهذا الكلام طوال القرون الماضية كاملة، حتى عند أهل البدع حتى ظهر  
لنا منكر وسنته صلى الله عليه وسلم في العصر الحديث وحقا هم أتوا بما لم يأت به  
الأوائل ونسأل الله العافية.

المبحث الثالث

مناقشة الادعاء

أن القرآن هو الحديث الوحيد

الذي ينبغي اتباعه



ففي سنن الترمذي -حديث رقم ٢٩١٠- عن عبد الله بن مسعود (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولا م حرف، وميم حرف).

وأخرج الشيخان البخاري ومسلم حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهُو أشدُّ ثقلًا من الإبل في عقلها).

ولا أريد الإطالة أكثر، ولكن الشاهد أنه معلوم لدى الجميع كم الأحاديث التي تحت على قراءة القرآن والتمسك به، وتعهدده وعدم البعد عنه وهجر تلاوته وتدبره.

**فلا أدري من كان يخاطب الكاتب في قوله يصدون عن كتاب الله وآياته!!!**

### ثانياً: عدم استلزام الدليل للمدلول

فالمؤلف يهدف من فقرته إلى ترك اتباع أي حديث غير كلام الله فبدأ بعنوان فقرته (القرآن هو الحديث الوحيد الذي ينبغي الإيمان به). وساق أدلة تتحدث عن العقيدة والإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله وأنه ليس من اختلاق الرسول صلى الله عليه وسلم (أم يقولون تقوله)، وهذا كله للخروج بنتيجة مختلفة تماماً، ألا وهي (ترك أي كلام غير كلام الله)!

هكذا على الإطلاق بالرغم أن سياق الآيات كلها واضح أنه في باب الاعتقاد والإيمان بالله علينا أن نترك كل عقيدة لا تقوم على كلام الله عز وجل، وأنه أحسن الحديث وخير من العقائد الأخرى التي هي من اختلاق البشر وليست منزلة من عند الله!!! وأكبر دليل على أن النتيجة التي يدعو إليها خاطئة ولا يمكن أن تكون أننا لو طبقنا هذه القاعدة وتركنا أي حديث غير منزل من عند الله، فسنقوم بترك كل القواعد والنظريات العلمية التي وضعها البشر ولم تنزل من عند الله ونعيش إذن في ظلام وتخلف بزعم أننا لا نأخذ بأي حديث غير كلام الله وهذه النظريات العلمية ليست منزلة من عند الله!!!

بل ووددنا لو طبق المؤلف قاعدته هذه على نفسه، واحتفظ بكلامه وحديثه لنفسه وتركنا مع كلام الله، فما الداعي الذي دعاه للتأليف والتصنيف وهو يعلم أن الله عز وجل أمر ألا نأخذ بكلام غير كلام الله؟! أي أن المؤلف قعد قاعدة كان هو أول المخالفين لها!!!

**ثالثاً: خالف المؤلف مرة أخرى قاعدته والعديد من كلام الله عز وجل وما جاء في كتاب الله صراحة إما للأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو جعل طاعته شرطاً وعلامة للإيمان، أو تحذيراً من مخالفة أوامره ومشاقته صلى الله عليه وسلم.**

ومنها العديد من الآيات التي تأمر مباشرة بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى:

- \* (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ... آل عمران ١٣٢ \*
- \* (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) التغابن ١٢ \*
- \* (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) .. النور ٥٤ \*
- \* (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) ... الأنفال ٢٠ \*
- \* (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) ... الأنفال ٢٤ \*
- \* (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .... الأنفال ٤٦ \*
- \* (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب ٢١ \*

وكذلك العديد الآيات التي جعلت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم شرطا من شروط الإيمان بالله عز وجل وعلامة من علاماته مثل قوله تعالى

- \* (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ..... النساء ٦٥ \*
- \* (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) الأحزاب ٣٦ \*
- \* (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) النساء ٥٩ \*
- \* (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) النور ٦٢ \*
- \* (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) آل عمران ٣١ \*
- \* (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) الأنفال ١ \*

والعديد من الآيات التي تحذر من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل قوله تعالى:

\* (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء ١١٥

\* (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الأنفال ١٣

\* (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ۗ ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) التوبة ٦٣

\* (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۗ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَكُمْ لِيُؤَادُّوا ۗ فَأَلْحَظْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النور ٦٣

\* (فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا) (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) النساء ٤١ - ٤٢

\* (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ)..... التوبة ١٢٠ ٥

وكل هذه الآيات وغيرها من كتاب الله يوضح تماما وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم مخالفة أو امره أو الحيد عن طريقه.

فهل مر المؤلف على أي من هذه الآيات التي ذكرناها أم أنه لا يعتبرها من كلام الله!!؟

**المبحث الرابع**

**مناقشة الادعاء**

**أن الوحي فقط في القرآن**

ثم انتقل المؤلف في فقرة قصيرة أقل ما توصف به أنها ادعاء خالي من الأدلة وهي بعنوان (الوحي المكتوب الذي نزل على الرسول هو سور وآيات في القرآن وفقط). وبالرغم من عظمة الادعاء إلا أنه لم يسق عليه إلا دليلاً وحيداً بعيداً كل البعد عن ادعاءه الذي ادعاه، وهو الآيات الشهيرة بآيات التحدي التي تحدى الله فيها عز وجل الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن مثل قوله تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وقوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَنْعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) واستنتج من هذه الآيات أن القرآن هو الوحي (الوحي المكتوب الذي نزل على الرسول)

وقبل أن أنتقل للرد على ادعاءه أوقفني وصفه للوحي ب (المكتوب) ولا أدري ماذا يقصد بهذا الوصف؟

\* هل يقصد أن هناك وحياً غير مكتوب، ولكنه غير مهم؟

ولكن الله عز وجل أمرنا باتباع الوحي كله وترك لفظ الوحي على إطلاقه دون وصف يفيد، فقال تعالى في سورة الأنعام (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ طَوَّاعاً عَرِضٌ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) ١٠٦

\* أم يقصد أن الوحي لا يكون إلا مكتوباً؟

وهذا ينافي أصلاً تنزيل القرآن الذي لم ينزل مكتوباً في صحف من السماء.

فالله عز وجل نقل تعجب المشركين من عدم نزول القرآن كتاباً في (قرطاس) ورد عليهم في سورة الأنعام قوله تعالى (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) (٧)

لذا لا أدري المغزى والفائدة من وصفه للوحي بالمكتوب، ولماذا أورده المؤلف، وأرى أنه وصفاً لا قيمة له، بل ويعود بالعكس على فكرته التي يهدف إليها ويضعفها من قبل أن يبدأ في الاستدلال لها.

وننتقل للرد على ادعاءه والذي كما قلت (لا أجد أنه أورد أدلةً عليه) بل وبه العديد من نقاط الضعف فيه.

**أولاً: المؤلف ادعى (حصر الوحي) في سور القرآن، ولم يحضر أي دليل على هذا الحصر.**

فنعم سور القرآن من الوحي، ولكنها ليست كل الوحي ولا يوجد في كتاب الله آية تدل على أن سور القرآن هي كل الوحي.

**ثانياً: المؤلف أوهم القارئ أن الوحي لا يكون إلا مكتوباً، والقرآن نفسه لم ينزل مكتوباً كما ذكرنا من قبل.**

**ثالثاً: الأدلة من القرآن على وجود وحي خارج القرآن كثيرة سنحاول أن نعرج عليها سريعاً.**

• من هذه الأدلة الإخبار أن كل ما ينطق به الرسول صلى الله عليه وسلم هو وحي

قال تعالى في سورة النجم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)

والآية على عمومها لتشمل كل ما ينطق به صلى الله عليه وسلم وحتى نخصص هذا العموم نحتاج لنص آخر من الوحي ولا نخصصه برأينا الشخصي

**وفي رأيي هذه الآية وحدها كفيلاً بالرد على ادعاء الكاتب ( الوحي المكتوب حصراً في القرآن) فهي هنا أصلاً وصفت الوحي بأنه منطوق من فم الرسول صلى الله عليه وسلم وليس مكتوباً كما يدعى!!!**

• وكذلك الإخبار بإنزال الحكمة المعطوفة على الكتاب

تكرر ذكر الحكمة في كتاب الله فتارة تأتي مفردةً، وتارة تأتي مقرونةً، إما بالكتاب، أو بالملك، أو بآيات الله، لذا فهي تفسر بحسب السياق، فقد تفسر بالنبوة أو بالفهم الصحيح أو بالفقه في الدين أو بشيء من الوحي المنزل وما غير ذلك.

مثل قوله تعالى في سورة النساء وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)

وذهب أغلب المفسرين أن الحكمة المعطوفة على الكتاب إذا كانت متعلقة بالنبى صلى الله عليه وسلم فيراد بها سنته وذلك لدلالة العطف المقتضى للمغايرة ولدلالة السياق ولمقتضى موافقة قوله تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) مع تواتر تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم من أحكام الإسلام التي لم تذكر في القرآن كالصلاة والزكاة وغيرها

**الوجه الثالث من الأدلة: الآيات الدالة على النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بأحكام وأخبار ولا نجدتها في القرآن**

أمثلة ذلك

• قوله تعالى (إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَكُمُ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ)

"إذ" للدلالة على الماضي، أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بأن الله سيمدهم بثلاثة آلاف من الملائكة وخبر كهذا أبداً لا يكون اجتهاداً منه صلى الله عليه وسلم.

• آيات تحويل القبلة

في قوله تعالى (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)

هنا بين الحق سبحانه قول السفهاء واعتراضهم على تغيير القبلة (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها)، وبما أن القبلة القديمة التي تولوا عنها ليست مذكورة في القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم توجه لها بوحى وأمر من الله كما قال تعالى (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ) وهذا الأمر غير مذكور في القرآن إذن هو وحى من خارج القرآن الكريم

• آيات سورة التحريم (نبأني العليم الخبير)

(إِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَن أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)

وطالما النبأ من العليم الخبير سبحانه أي أنه وحى له صلى الله عليه وسلم وهذا النبأ والخبر ليس في القرآن إذن فهو وحى خارج القرآن الكريم

**المبحث الخامس**

**مناقشة الادعاء**

**أن البشر مطالبون بالقرآن فقط**

ثم انتقل المؤلف بفقرة جديدة وعنون لها بعنوان (البشر مطالبون يوم القيامة بما نزل على الرسل من آيات الوحي فالوحي آيات)

واستدل بقوله تعالى في سورة الأنعام (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا... (١٣٠)

وقوله تعالى في سورة الزمر (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ۗ..)

وعقب بقوله (أن الرسل يتلون آيات الله ومن أعرض عنها دخل النار وحشره ربه أعمى) كما قال تعالى في سورة طه (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ (١٢٦) وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٧)

ثم خرج من هذه الآيات بنتيجتين:

الأولى: أننا مطالبون بالإيمان بالآيات التي نزلت على النبي

الثانية: ليست هناك آيات من الوحي خارج القرآن.

**والمؤلف وقع في مغالطات فكرية ونذكر منها:**

**أولاً: عدم لزوم الدليل للمدلول**

فقول المؤلف أن الوحي آيات وهو يقصد حصر الوحي في الآيات (كما أنهى فقرته أنه ليس هناك آيات من الوحي خارج القرآن) هذا ادعاء لم يحضر أدلة على هذا الحصر.

**فآيات القرآن من الوحي، ولكنها ليست كل الوحي ولا يوجد آية واحدة في كتاب الله تحصر الوحي في القرآن الكريم.**

وكل ما فعله المؤلف هو الاستدلال بآيات تصف القرآن أنه من الوحي، وأنه كلام الله وحجته التي أقامها على الناس وأن من لم يؤمن بالقرآن وأعرض عنه قامت عليه الحجة ويستحق العقاب، لكن أين الدليل أنه لا وحي خارج القرآن؟

لا الآيات صرحت بذلك، ولا يفهم منها لا من قريب ولا من بعيد أن الوحي في القرآن فقط.

## ثانياً: الاستدلال ببعض الآيات وإهمال بعضها وهذا تفسير منحاز لكتاب الله

فالمؤلف كان يتكلم عن وظيفة الرسل، وأحضر بعض الآيات التي تتحدث عن أنهم كانوا يتلون آيات الله، ولكنه وأهمل الكثير من الآيات التي تتحدث أيضاً عن وظيفة الرسل والتي من أهمها تعليم الناس دينهم.

فالله عز وجل كان بإمكانه أن يجعل آياته وكتابه محفوظاً في مكان ويمنع أي أحد من العبث به ومتاحاً ليقرأه أي أحد في كل زمان ومكان، ولكنه أرسل الرسل لماذا؟

لأنه سبحانه يريد ما هو أكثر من قراءة وتلاوة الآيات على الناس، هو يريد منهم أن يعلموا الناس دينهم والأحكام والتشريعات التي فرضها عليهم، وسيحاسبون عليها يوم القيامة، لذا أرسل رسلاً وأنبياءاً ليكونوا قدوة للناس تسير خلفهم.

فالطريق والصراط إلى الله واحد، وسبل الشيطان والضلال كثيرة، كلها تبعد عن صراط الله المستقيم وهو ما وصفه الله عز وجل في قوله تعالى في سورة الأنعام (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣))

وخير من يبين هذا الصراط هو الرسول الذي يرسله الله عز وجل، فيكون قائداً وقدوة للناس يسيروا من خلفه ويهتدون بهداه كما قال تعالى في سورة الشورى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۗ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ، وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۗ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تُصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣))

وبشر الله عز وجل من يتبع الرسول بأنه يسير على هذا الصراط المستقيم كما قال تعالى في خواتيم سورة يوسف (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨))

وبين أيضاً الله عز وجل لم هذا الصراط المستقيم يكون باتباع الرسول، وهذا لأن للرسول وظائف تعليمية وتزكية وتربوية، ولا تقتصر مهمته عند تلاوة الآيات، وهذه من النعم الجليلة التي أنعم الله عز وجل بها على الناس أن يرسل لهم من يعلمهم شؤون دينهم كما قال تعالى في سورة آل عمران (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤))

ونحن إن تركنا فهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليمه وبيانه للأحكام، سيذهب كل واحد ليشرح الآيات بفهمه ووفق هواه، والأفهام تتباين وبهذا ينتج دين مخصص لكل شخص، وليس دين واحد واضح المعالم، بل إن هذا يعني (نقصان الدين) فدين يأمرنا

بأوامر كإقامة الصلاة والزكاة والحج والعمرة والطهارة، ولا يوضح كيف نقوم بهذه العبادات هذا دين ناقص، وهكذا نحن نكذب الله عز وجل بأن لدينا دين كامل كما قال في سورة المائدة ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا....(٣)

وكل هذا يبين وظائف الرسول الأخرى فهو ليس ساع برید يلقي لنا الرسالة ويتركنا بل عليه مهمات أخرى اوكلها الله عز وجل .

### ثالثاً: مغالطة رجل القش

يستمر دائماً المؤلف في رسم صورة ويريدها أن تنطبع في ذهن القارئ وهي أن من يتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض عن كتاب الله!!!

ولا أعلم بوجود هذه الصورة إلا في ذهن المؤلف، وأما على أرض الواقع فسنة النبي صلى الله عليه وسلم تحت على تلاوة القرآن، والعمل بآياته، وتعهدده وعدم الإعراض عنه، ولا يوجد أي شيء في السنة يدعو لترك كلام الله عز وجل، بل إن الحقيقة أن منكر السنة هو من يعرض عن آيات الله الكثيرة التي تأمر باتباع الرسول وطاعته وعدم مخالفة أوامره

وكان المؤلف يطبق المثل القائل (رمتني بدائها وانسلت)!!

**المبحث السادس**

**مناقشة الاعتراض على**

**حديث أوتيت القرآن ومثله معه**

ثم انتقل المؤلف لفقرة جديدة بعنوان ( لا مثيل للقرآن كما أنه لا مثيل لله عز وجل )  
واستدل لذلك ب:

\* قوله تعالى في سورة الشورى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)  
\* وقوله تعالى في سورة الإسراء (قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ  
هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)

ثم قال أنه ليس هناك مثيل للقرآن ولا لأي سورة من سورته، ولهذا انتقد الحديث الصحيح  
الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (أن الله أوحى لنبيه القرآن ومثله معه).

**بادئ ذي بدئ المؤلف لم يحضر الحديث كاملاً ولن يستطيع أن يحضر هذا الحديث  
كاملاً ، وهذا لأن الحديث ينطبق عليه وعلى حزبه ممن ينكرون سنة النبي صلى الله  
عليه وسلم فاسمعوا لنص الحديث**

(ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يُوشِكُ رجلٌ شبعانٌ على أريكته يقول: عليكم بهذا  
القرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموا، وإنَّ ما  
حرَّمَ رسولُ اللهِ كما حرَّمَ اللهُ، ألا لا يحلُّ لكم الحمارُ الأهليُّ، ولا كلُّ ذي نابٍ من  
السيباع، ولا لُقْطَةٌ معاهدٍ إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقومٍ فعليهم أن يقرؤهُ،  
فإن لم يقرؤهُ، فله أن يُعقِبَهُم بِمِثْلِ قِرَاءَةٍ)

والحديث أخرجه أبو داود في سننه (٤٦٠٤) واللفظ له، والترمذي (٢٦٦٤) مختصراً  
باختلاف يسير، والإمام أحمد في مسنده (١٧١٧٤) باختلاف يسير.

وسبحان الله الذي أخبر نبيه بهذا الأمر الغيبي وجعله يصف لنا المشهد وكأنه يراه بعينه  
رأي العيني وأنه سيأتي أقوام من بعده حالهم مستقر ، لا يشكون من جوع بل بطونهم  
ملاى -ولكن عقولهم فارغة - يدعون الإسلام، ويرفضون الاحتكام لسنة نبيينا العدنان  
صلى الله عليه وسلم، وإذا به صلى الله عليه وسلم يرد عليهم بنفسه، ويخبرهم بما قد  
يوقظهم من غفلتهم، ويقيم الحجة عليهم، ولكن بدلا من أن يلقي هذا الكلام صدى عندهم،  
تمادوا في زيغهم وظنوا ان في هذا الحديث تعارض مع كتاب الله عز وجل وهذا ظن  
خاطئ ولا يوجد أبدا ما يعارض هذا الحديث في كتاب الله كما سنوضح سوياً.

أولاً: قوله صلى الله عليه وسلم (إني أوتيت القرآن ومثله معه) هذا لم يدع فيه صلى  
الله عليه وسلم أنه اخترع مثيلاً للقرآن، هو لم يقل ذلك بل قال أوتي مثيلاً للقرآن مع  
القرآن أي من نفس المصدر وهو الوحي.

السؤال هل هذا كلام الرسول فقط، أم قد نجد في القرآن ما يؤيد هذا الكلام؟

نعم هناك في كتاب الله ما يؤكد ذلك، فقال تعالى في سورة النجم (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)

فالله عز وجل أكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق من هوى شخصي، بل ينطق ما يوحى إليه، والنطق هنا يشمل كل ما ينطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذا فالسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا بالقرآن؟

بالقطع لا هو عاش في الدعوة طوال ثلاثة وعشرين عاماً بلغ خلالها آيات القرآن، وكان له مواقف وتعاليم وأمور أخرى كثيرة في حياته التي عاشها وسط أصحابه، ونقلوها عنه كما نقلوا كلام الله عز وجل.

إذن فالوحي لم يكن أبداً مقتصراً على القرآن والوحي من مصدر واحد، وهو الله عز وجل، لذا فالأحكام والتشريعات من مصدر واحد، سواء كانت مذكورة في آيات القرآن، أو أوحاها له خارج القرآن، فحين يأمرنا الله عز وجل في القرآن بإقامة الصلاة هو لن يتركنا دون أن يوضح لنا ما هذه الصلاة؟ وما صفتها؟ وكم مرة نقيمها في اليوم واللييلة؟ وغيرها من الأسئلة التي تتبادر إلى المسلم الذي يسعى لتنفيذ أمر ربه بإقامة الصلاة، ومن كمال الله وحكمته ألا يتركنا هكذا دون تبيين وتوضيح مثل هذه الأمور ولكنه لحكمته سبحانه اختار أن يوحىها لرسوله خارج القرآن وسبحانه لا يسأل عما يفعل ونحن مطالبون بالسمع والطاعة له ولرسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في سورة الأحزاب وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ<sup>٣٦</sup> وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦)

### ثانياً : قوله صلى الله عليه وسلم ( مثله ) لا تعني تطابق تام

معلوم أن المثلّ للتشابه في صفة أو أكثر، فحين نقول زيد مثل أحمد، نحن لا نقصد أن لدينا شخصان متطابقان ولكن نقصد بالتأكيد التشابه بينهما في بعض الصفات مثلا الطول أو العمر أو الوزن أو الملابس وهكذا .

ولهذا نحن في عقيدتنا توحيد لله عز وجل في أسمائه وصفاته، وننفي أن يكون له مثل في أي صفة من صفاته وسبحانه لا يشبهه أي أحد من خلقه، ولا يملك أحد ان يصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه ونتوقف في كيفية الصفة ولا نقول إلا بما أخبر عن نفسه سبحانه لأننا لا نملك قالبا مشابها نوضح به لهذا نتوقف في الكيفية.

وكذلك الأمر في آيات التحدي ( أن يأتوا بمثل هذا القرآن ) فالتحدي كان أن يأتوا بكلام يحمل بعض صفات القرآن، وليس بالمتطابق تماماً للقرآن، ومع ذلك عجزوا عن الاقتراب حتى من بلاغة وعظمة القرآن، وما يحمله من نظم للكلمات وترابط في المعاني، بالرغم من اختلاف الموضوعات التي تناولها، ولكنه ساقها بأدق وأروع الأوصاف في كلمات عذبة تصل للقلوب قبل الأذان، وتلين معها الجلود وتتقد لها الأذهان، وفي إيجاز بليغ دون إسهاب وإطناب، تجد نفسك أمام معانٍ تحتاج أن تفرد لها الكتب والمجلدات ولن تستوعبها، فعجز العرب وهم أهل الصنعة والفصاحة، وكذلك عجز من دونهم، بل وسيعجزون كلما حاولوا وهذا دليل على إعجاز القرآن للإنس والجن إلى قيام الساعة وانه منزل من عند الله.

ولو عدنا للحديث لم يفهم أي أحد من الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كلامه بنفس بلاغة القرآن، ولكن واضح من باقي الحديث أنه يقصد الوحي، وأنه ينزل عليه بالقرآن، كما ينزل عليه بتعاليم وأمور خارج القرآن، وهذا ما وضحه باقي كلامه صلى الله عليه وسلم حين قال (أوتيت القرآن ومثله معه) فواضح أنه كما لم ينطق بالقرآن من نفسه وإنما أوحى إليه، فهو أيضا يقصد أنه يوحى إليه أمور أخرى مع القرآن، ولكن الله عز وجل لم يدخلها في آيات وسور القرآن.

المبحث السابع

مناقشة الادعاء

أن القرآن لم يفرض في شيء

ثم انتقل المؤلف لفقرات متتاليات ظهر فيها تخبطه وشتات أفكاره وعدم ترتيبها بل وناقض فيها نفسه بنفسه كما سنوضح في السطور التالية:

أولاً: بدأ المؤلف بعنوان ( القرآن ما فرط في شيء ) ثم انتقل لعنوان فرعي قال فيه ( بيان القرآن في داخل القرآن، والقرآن مبين في ذاته).

وكان يريد أن يصل لهدف معين، وهو أن كتاب الله مبين (بذاته)، وآياته (البيانات) لا تحتاج في تبينها إلا لمجرد القراءة والتلاوة، واستدل بقوله تعالى في سورة البقرة (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)

وقوله تعالى في سورة القمر (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٢٢)

**وذكر نقطة مهمة وهي (أن الله جعل الكتمان هو عكس التبیین)**

واستدل لذلك بقوله تعالى في سورة آل عمران (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)

**ويرى أن خير بيان للقرآن هو من القرآن**

**ولكنه هنا يرمي لمعنى آخر للبيان وهو التوضيح والشرح!!!!**

**ولذا أعجبه قول ابن كثير أن أحسن التفسير الذي يفسر القرآن بالقرآن!!!!**

وبعدها انتقل المؤلف لعنوان فرعي جديد وهو نفس عنوانه الأول (القرآن ما فرط في شيء ونزل تبينا لكل شيء وجاء مفصلا لكل شيء)

وبدأ استدلاله بقوله تعالى في سورة الأنعام (..مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ... (٣٨) وقوله تعالى في سورة النحل (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)

وقوله تعالى في سورة يوسف (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

وبدأ بعدها سلسلة التناقضات التي ناقض فيها نفسه:

أول هذه التناقضات قوله أن التفريط هو عدم إغفال الشيء (الضروري) فأضاف من عنده وصف (الضروري) للآية، وهذا في محاولة منه للإجابة على لماذا لم يذكر القرآن عدد ركعات الصلاة ولا كفييتها، وهذا بالتأكيد يناقض ما كان يقصده ويستدل عليه أن القرآن لم يفرط في شيء!!!

(وما أقبح ما يرمي إليه فقد وصف عدد ركعات الصلاة وصفتها بالشيء غير الضروري لأنه لو كان ضروريا لذكر في القرآن وما فرط في ذكره كما ادعى).

فهو يرى ان القرآن لا يحتاج لذكر الصلاة (التي نعرفها من الصغر)!!!!

عزيزي أين الدليل أن هذه الصلاة صحيحة على مراد الله؟

لا شيء ولم يقدم أي دليل، بل اعتبر الصلاة أمراً هامشياً، ذكره فيه نوع من الهزل لأننا نمارسها منذ الصغر!!!!

وما أسوأ ما وصف به أعظم شعيرة من شعائر الإسلام بل وجعل مناقشتها ضرباً من (الهزل) وأنا لله وأنا إليه راجعون..

ثم تابع تناقضاته في جملة مهمة وهي أن (التبيان هو التوضيح لما يستلزم البيان والتوضيح) كما أقتبس من كلامه في الصفحة السادسة والعشرين، وهكذا لم يقصر البيان على عدم الكتمان كما قال سابقاً.

وانتقل بعدها للتناقض الثالث الذي ذكره فهو ذكر في نهاية الصفحة السابعة والعشرين ومطلع الصفحة الثامنة والعشرين كما أقتبس من كلامه (لذا فإن العلماء المحققين المؤمنين بتمام القرآن والمكتفين به)هم فقط الذين يفهمون تفصيلات القرآن!!

بل وساق الأدلة على هذا مثل قوله تعالى (وكذلك فصل الآيات لقوم يعلمون) يا رجل بعد كل هذه السطور وكل هذه الآيات وكل هذه الأدلة التي تسوقها لتخدع القارئ أن القرآن (مبين بنفسه) (و فقط اقرأه وستفهمه) و(لا تجعل أحدا يخدعك القرآن ينطق ببيانه بنفسه) ثم تأتي وتقول (أن هناك أشخاص محددون هم من يفهمون تفصيلات القرآن)!!!

لا أعلم نصدقك في أي ادعاء؟؟؟

نصدقك اننا لا نحتاج لأحد كي نفهم القرآن، أم نصدق قولك أن فهم القرآن خاص  
بأشخاص محددين عالمين وعارفين بالله وبكلامه!!

وبعدما ختم كل هذا التناقض بوصف الذين لا يعلمون بالذين (يسعون في آيات الله  
معاجزين مكذبين ببيان القرآن وتفصيله لكل شيء، يقولون أين ركعات الصلاة في  
القرآن وأين كيفية الصلاة؟)

ولم يذكر دليلاً على ادعاءه، ولكن ذكر ما توعد به الله عز وجل للذين يسعون في آيات  
الله معاجزين مثل قوله تعالى وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ  
مُحْضَرُونَ

وحتى الآن أنا فقط أسرد ما كتب دون أن أرد عليه، فقد أحببت قبل أن أكتب ردي  
أوضح ما قام به من تناقضات يرد فيها على نفسه، وتجعل من يقرأ هذا الكلام بتجرد  
يرى أن المؤلف يدعي الادعاء ويسوق ما يبطل ادعاءه في نفس الوقت وهذا بكل  
وضوح وبشكل مباشر!!!

ونستطيع أن نلخص ما قام به من أخطاء فكرية فيما يلي:

**أولاً: التناقض الواضح في أفكاره**

فالمؤلف لا يكاد يقعد قاعدة ويسوق الأدلة – في نظره – عليها إلا ويقوم بنقدها مباشرة  
كما فعل في:

١ \* محاولة وضع قاعدة أن القرآن مبين في ذاته، ويكفي تلاوته لتفهمه، وأن معنى  
البيان هو عكس الكتمان، ثم بعدها قام بذكر أن البيان له معنى آخر وهو التوضيح لما  
يستلزم لتوضيح - فهو هنا اعترف أن البيان ليس فقط ضد الكتمان كما كان يحاول أن  
يوهم القارئ بذلك - بل هناك معان أخرى للبيان.

وهذا أمر منطقي وذكره الله عز وجل فالبيان ليس فقط ضد الكتمان وأن يكفي أن تقرأ  
القرآن لتفهمه، والدليل على ذلك أن الأعجمي - غير العربي - لو قرأ القرآن دون معرفة  
بمعاني الكلمات وباللسان العربي لن يفهم منه شيئاً وكيف يفهم الشخص لغة غريبة  
عليه؟

وهو ما قاله تعالى في سورة الشعراء (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ  
عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩))

لذا فمجرد تلاوة الكلمات لا يكفي لفهمها إلا لمن يملك الملكة الفكرية لفهم ما يقرأ، فبديهى أن الأعجمي لا يفهم اللسان العربي، والعربي لا يفهم اللسان الأعجمي حتى يتعلم كل منهم القدرة على فهم المصطلحات التي يقرأها.

٢\* القاعدة الثانية -وهي فرع من القاعدة الأولى- وهو قدرة أي شخص على فهم القرآن، فقال يكفي ان تقرأ القرآن فينطق لك ببيانه، ثم جاء بنقيضها في النهاية بقوله أن فهم تفصيلات القرآن (للعلماء المحققين)، فحصر الفهم بالتفصيلات في أشخاص معينين وليس كما كان يزعم لأي شخص.

وهذا أمر بديهي فالقرآن فيه آيات محكمات وأخر متشابهات، والله عز وجل أخبرنا أن العلم بالمتشابهات ليس إلا للراسخين في العلم، أي أفنوا أعمارهم في طلب العلم، كما قال تعالى في سورة آل عمران (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

وهذا ليس الشرف الوحيد الذي شرف به الله عز وجل أهل العلم، فهو سبحانه شرف العلماء وقرنهم بالملائكة في الشهادة بوحداية الله في منزلة هي من أسمى المنازل التي ممكن ان يوصف بها أي أحد، بدأت بشهادة الله عز وجل لنفسه ثم شهادة ملائكته الكرام ثم شهادة العلماء بوحداية الله، في تزكية للعلم وأهله وبيان لمنزلته عند رب العالمين فقال سبحانه في سورة آل عمران (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

بل إن أي أحد لن يحقق تمام الخشية لله حتى يحقق العلم به وبكلامه وصفاته، وما أعده من نعيم للطائعين وعذاب للعاصيين، سبحانه كما قال تعالى في سورة فاطر (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ... ٢٨

لذا طلب العلم أمر مهم في حياة المسلم ولم يأمر الله عز وجل نبيه من الزيادة في شيء إلا في العلم كما قال تعالى (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)

ولا أعلم أمر أخبث من الدعوة إلى تسفيه العلماء وقدرهم والزعم أن الفهم والإدراك يتساوى فيه الجميع، فيسعى كل من هب ودب لاستخراج الأحكام والتشريعات ويقول هذا حلال وهذا حرام، دون أن يمتلك الأدوات السليمة ويسلك المسلك الصحيح للفهم والاستنباط.

وعلى كل واحد منا أن يعلم قدره وحدود علمه وأن يقف ولا يخوض فيما لا يعلم كما قال تعالى في سورة الإسراء (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْنُورًا) (٣٦)

٣\* القاعدة الثالثة التي وضعها المؤلف ثم كسرها مباشرة هي قاعدة (القرآن ما فرط من شيء).

وهنا لا بد من ذكر أن أول دليل ساقه يؤخذ عليه، فهو استدلال بدليل غير صحيح، واستقطع الآية حتى لا يظهر للقارئ ما المعنى المقصود من الآية وسوف نستعرض الآية كاملة لنعرف المعنى المقصود منها فقال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (٣٨)

وهنا واضح تماما أن الكتاب الذي ورد في الآية ليس هو القرآن الكريم، فالقرآن لم يذكر كل الدواب والطيور، وإنما هناك كتاب آخر عند الله عز وجل كتب فيه كل المقادير والخلائق وهو ما ذكره في سورة النمل في قوله تعالى (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (٧٥)

وذكره في سورة الحديد في قوله تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٢٢)

لذا فهناك كتاب لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل، وهو ما ذكر فيه كل شيء، وكل الدواب والغيبيات والأقدار، بل وفيه أيضا القرآن نفسه كما قال تعالى في سورة الزخرف (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ (٤)

وبعد أن وضع المؤلف قاعدة ان القرآن لم يفرط من شيء وذكر كل شيء هكذا على العموم، قام بوضع المخصصات وأنه القرآن لم يخص بالذكر إلا الشيء (الضروري) فما أسرع نقده لنفسه وكسره لقواعده!!

ثانيا: المؤلف يكرر ما يفعله دائما في انتقائه للأدلة، فهو يذكر بعض الأدلة ويهمل البعض الآخر الوارد في نفس الباب.

ففي سورة النحل نفسها كما ذكر تعالى أن القرآن تبياننا لكل شيء، ذكر أيضا أن الله عز وجل أحال للرسول عليه الصلاة والسلام تبيان القرآن وذلك في قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٤٤)

والمؤلف اختصر الطريق علينا وأوضح أن التبیین فيه شرح وتوضیح، وهذا یعنی أن الله عز وجل أمرنا باتباع توضیحات الرسول وتعلیمه للأحكام، ولا أدري كيف للمؤلف أن يقول أن تفصیلات الأحكام یعلمها ( العلماء ) وینسى أن معلم الناس الخیر صلی الله علیه وسلم هو خیر من یعلم تفصیلات هذه الأحكام، وخیر من نقلها عنه!!!

### ختاماً حتى لا نطيل أكثر

هذه الفقرات، اتضح فيها جلياً منهج منكري السنة العبثي، وتفكيرهم المتناقض الذي لا يقوم على منهج سليم ولا يستقيم على قاعدة واحدة سليمة، بل يسوقون القاعدة وسرعان ما يكسرونها وينقضونها بأنفسهم!

وهذا ليس علماً مفيداً يقوم على أدلة وبراهين سليمة، وإنما محض هوى، فهم لم يفعلوا شيئاً أكثر مما وصفهم الله عز وجل به نظير إعراضهم عن سنة النبي صلی الله علیه وسلم كما قال تعالى (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)

ونعوذ بالله من اتباع الهوى، فالله عز وجل وصف متبعي الهوى بأنهم في منزلة أقل من منزلة الأنعام أعزكم الله وذلك في سورة الفرقان في قوله تعالى (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)

ونسأل الله العافية والسلامة

المبحث الثامن

مناقشة الادعاء

أن القرآن هو الذكر الذي نزل على النبي

ثم انتقل المؤلف إلى فقرة عنون لها بعنوان (القرآن هو الذكر الذي نزل على النبي) والهدف من فقرته هو إعطاء تفسير غريب وشاذ لقوله تعالى في سورة النحل (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

قدم المؤلف تفسيره الغريب للآية كما أقتبس من كلامه في الصفحة ١٩ (أن القرآن نزل ليوضح النبي لأهل الكتاب ما سبق إنزاله إليهم من البيئات والزبر لعلمهم يتفكرون)!!!

وهو فسر كلمة الناس بأهل الكتاب فقط ولا يرى أنها عامة لكل البشر !!! واستدل على ذلك:

\* أن سياق الآية يتحدث عن الأنبياء السابقين وما أنزل عليهم من البيئات والزبر وأهل الذكر الذين لديهم علم بالكتب السماوية السابقة.

\* أن القرآن ذكر في موضع آخر هذا الأمر كما في سورة المائدة (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥).

وقوله تعالى في سورة النمل (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)

ثم أراد الخروج بنتيجة أخرى وهي: (أن النبي نزل عليه كتاب واحد وذكر واحد وقرآن واحد) ومما استدل به قوله تعالى في سورة الإسراء (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا<sup>٤</sup> وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) وقام بتفسير كلمة ( وحده ) تفسيراً خالف فيه قواعد اللغة فقال أنها (ترجع لله تعالى وللقرآن معا) واعتبر هذا من (الإعجاز البلاغي أن تأتي كلمة وحده ليعود الضمير المفرد على الله وكتابه معا)!!!

ويرى أن المشرك هو من يحلو أن يكون له مصادر وآلهة متعددة

والمؤلف كان يهدف إلى (أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس له بيان أو تعاليم تشرح القرآن) فماذا فعل؟

لم يحضر لنا الأدلة التي تؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له تعاليم وشرح وتوضيح للقرآن، وفي المقابل كل ما فعله جمع بعض الأدلة التي تهدف إلى أن القرآن به شروح وإيضاحات وتبيان لما يختلف فيه الناس، وإظهار لما يخفيه أهل الكتب من ذكر انزل الله في كتبه التي أنزلها إلى الأمم السابقة.

والسؤال البسيط الذي يجب طرحه هنا ما علاقة هذا الأمر بأن الرسول صلى الله عليه وسلم له تعاليم للقرآن وشروح لأحكامه وأن تعاليمه واجبة الاتباع؟

الوحيد الذي يرى أن هذا يعني أن الرسول ليس له تعاليم هو من لديه هذه الفكرة مسبقاً ويبحث عن أي أدلة تدعم فكرته، ولهذا يقوم بانحياز في تفسيره ليؤكد على فكرته، وينتقي من الأدلة ما يراه ملائماً ويترك. ما ينقض هذه الفكرة دون أي منهجية سليمة.

في المقابل بالنظر لكتاب الله عز وجل نجده مليئاً بالأدلة والآيات التي توضح أن من مهام الرسول صلى الله عليه وسلم تعليم الناس الكتاب، وليس فقط تلاوته وتوجب علينا اتباع تعاليمه، وطاعته وعدم مخالفته، فأين نذهب من كل هذه الآيات ولماذا يهملها منكر السنة كأنها ليست من ضمن كتاب الله الذي يزعم أنه لا يريد إلا الاحتكام إليه!!

هذا هو البحث الانتقائي للأدلة، والاستدلال بآيات، والإعراض عن الكثير من الآيات في نفس الباب ونفس المسألة.

وليت المؤلف أحضر ادلة واستدل بها استدلالاً صحيحاً، وإنما هو مارس بشكل واضح وفج الانحياز في تفسيره، فجعل كلمة (الناس) في قوله تعالى (لتبين للناس ما نزل إليهم) جعلها على الخصوص وليست على العموم، وتخصيصه الذي قام به خالف السياق فحين خصصنا كلمة الناس في آية أخرى وهي (قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم) السياق هو ما أجبرنا على التخصيص فهذه جملة واحدة صدرت من شخص أو مجموعة محددة، وكذلك من قام بالجمع شخص واحد أو مجموعة أشخاص فالسياق يجبرك أن تعلم أن الناس لا يقصد بها عموم الناس، وإنما المقصود بها مجموعة من الأفراد، وبالنسبة لسورة النحل هل نرى السياق يحمل أي مخصص قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون....) خطاب لجميع المؤمنين بسؤال أهل الكتب السابقة ثم أكمل ( بالبينات والزبر ...) أي لا تعلمون بالبينات والزبر وما نزل من قبل في الكتب السابقة.. ثم قال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ...)

فالسباق منذ بدايته على عمومته ويخاطب عموم الناس ولا يفهم منها بأي شكل أن الخطاب موجه لأهل الكتاب!!

الأمر الآخر هو أن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم للناس كافة (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...الأعراف ١٥٨)

فما الذي يجعل الخطاب في سورة النحل يخاطب أهل الكتاب ويترك بقية الناس؟ بل الأولى أن تبقى كلمة الناس على ماهي عليه من العموم.

كما أن الله عز وجل حين يريد أن يوضح أن الكلام يخاطب أهل الكتاب دائماً ما يذكرهم ويحددهم- مثلاً يقول قل يا أهل الكتاب، أو يا أهل الكتاب، ليبين أن الحديث عليهم أو موجه لهم.

لذا تخصيص لفظ عام هنا فيه نوع من التعسف وليس تخصيصاً صحيحاً.

التفسير المنحاز الآخر الذي قام به في تفسيره (وحده) بانها تعود على شيئين، ولم يجد ما يبرر به قوله إلا أنها (بلاغة من القرآن)

ولو تنزلنا للجدال - بالرغم من أن دلالة صريح النص أن الكلمة تعود على الله وحده- ولو قلنا أن المؤلف يقصد وإذا ذكرت الله في القرآن وحده ويقصد أي استخدمت القرآن فقط للذكر أو ما نزل في القرآن فقط في الذكر، فنقول إن هذا المعنى مخالف تماماً لكلام الله عز وجل.

فالذكر ليس منحصراً أبداً في القرآن، فالصلاة مثلاً ذكر، كما قال تعالى لموسى عليه السلام في سورة طه (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)

وذكر الله بالمحامد والثناء عليه سبحانه والتسبيح والتهليل والتكبير كما قال تعالى لذكر يا عليه السلام (وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١)

فذكر الله ليس محصوراً بما أنزل في القرآن فقط، وهذا لا يقول به أي أحد لذا محاولة المؤلف أن يجعل كلمة وحده تعود على القرآن هي محاولة عبثية لا معنى لها وتعارض القرآن نفسه.

المبحث التاسع

مناقشة الادعاء

أن القرآن تام لا يحتاج لشيء

ثم انتقل المؤلف لفقرة جديدة وعنون لها بعنوان (القرآن كامل تام لا يحتاج لشيء آخر معه، وأورد مباشرة الأدلة عليها وهي:

\* قوله تعالى في سورة الأنعام (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) واستنتج منها أنه تمت كلمة الله لنا (بالقرآن) ولا مبدل لكلمة الله.  
\* وقوله تعالى من سورة المائدة (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) واستنتج منها أنه تمت نعمة الله بالإسلام وذلك باكتمال وحي (القرآن).

والغريب أنه أورد بعدها آيات توضح أن (كلمات الله لا تنفذ) مثل قوله تعالى في سورة لقمان (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)

وفي سورة الكهف (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)

وقال أنه ليس هناك حد لكلمات الله التي لا تنفذ .

ولم يبين كيف يكون اذن كلمت الله تمت في الآية الأولى ثم هي لا تنفذ وليس لها حد أقصى!!!

هو فقط عقب بقوله أنه لو أراد الله أن تكون كلماته بلا نهاية لفعّل، ولكن شاءت رحمة الله بنا أن أنزل لنا كتابا واحدا تماما مفصلا مبينا وأمرنا بالاكتماء به، واستدل بقوله تعالى في سورة العنكبوت (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)

واعتبر أن الله شهيدا على أن كتابه يكفي، واستدل بقوله تعالى في سورة العنكبوت (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا ۗ يُعَلِّمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)

وانظر كم هو واضح أن المؤلف استدل بأدلة بها تعارض ولم يفك لنا التعارض، فكيف يكون كلمة الله عز وجل تمت وفي نفس الوقت كلمات الله لا تنفذ وليس لها حدود!!

حصره لكلمات الله في القرآن فقط، هذا الادعاء أسقطه بنفسه حين قال أن كلمات الله لا حصر لها ولا حدود لها!!!

هو من أوضح بنفسه أن كلمات الله في القرآن وكلمات الله أيضا خارج القرآن وسبحانه لا تنفذ كلماته.

ثانيا: التفسير المنحاز واستقطاع الآيات من السياق لتناسب فكرته، وهذا ديدنه ويفعله كثيرا وعودنا عليه في كتابه، فكما وضحنا من قبل أن قوله تعالى ( أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ) هذا جاء ردا على الكافرين الذين سألوا الرسول أن يأتيهم بآية، وليس كما يستدل أنه يجب على المؤمنين أن يكتفوا بالقرآن فقال تعالى وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)

لذا واضح تماما تفسيره المنحاز المخالف للسياق، بل وقام به مرة أخرى في تفسير الآية التي تليها (بأن الله شهيدا على أن كتابه يكفي) والآية لم يذكر فيها هذا الكلام فقال تعالى (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ط يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)

هو من عنده أراد تأكيد فكرته، فلوى عنق الآية وأضاف كلمات من عنده (كتابه يكفي) وهي غير موجودة في الآية من الأساس.

### ثالثا عدم لزوم الدليل للمدلول

فهو استدل بقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم..) على أن وحي القرآن هو الذي اكتمل، وجميعنا نعلم أن هذه الآية ليست آخر الآيات نزولاً من القرآن، وليست حتى آخر الآيات ترتيباً في المصحف، إذن المقصود بالاكتمال ليس القرآن، كما يزعم.

وأما عن الادعاء أن القرآن تام أو كامل، فتنزيه القرآن عن النقص هو لتنزيه الله سبحانه، له الجلال والكمال منزّه عن أي نقص أو خطأ، ولكن القول أن الله عز وجل أنزل القرآن فقط دون أن يأمر رسوله أن يبين للناس ما نُزِّلَ إليهم هذا اتهام لله عز وجل أنه ناقص الحكمة وناقص العدل بل وناقص القدرة وحاشاه سبحانه وتعالى عما نقول علواً كثيراً.

فكمال الحكمة يقتضي أنه ينزل التشريعات ويبين للناس كيف يقومون بما أمرهم، ولا يتركهم في حيرة من أمرهم، فمثلاً حين يقول سبحانه وأقيموا الصلاة هل سترك الناس دون أن يبين لهم كيف يقيمون الصلاة؟

بالتأكيد لا، فلو ترك الأمر ولم يعرف الناس ما المقصود من الكلام إذن يكون الكلام بلا قيمة، فلو لم يعرف الناس الصلاة المقصود إقامتها هل هي دعاء أم وقوف وخشوع أم تسبيحات، واختلفوا فيها إذن ليس هناك هدف واضح من الأمر بإقامة الصلاة، وهذا لا يستقيم مع كمال حكمة الله عز وجل أن ينزل علينا كلاماً بلا هدف واضح، وكذلك الأمر حين يقول لنا إذا نُودي للصلاة ويتركنا ولا نعلم كيف يكون النداء للصلاة، أو يقول إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ويتركنا لا نعلم ما هي مواقيت الصلاة.

أو يقول لنا وآتوا الزكاة ولا يخبرنا ما هي الزكاة وهل هي خاصة بالأموال أم الزروع وما مقدارها وكم مرة نؤديها، وكل هذه الأسئلة تتعلق بأمرين فقط أمرنا بهما وجعلهما من أبرز شعائر الدين حيث قال تعالى في سورة التوبة (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١)

ولازال هناك غيرهما الكثير من التشريعات فمثلاً قال لنا سبحانه (وأتموا الحج والعمرة لله)، فهل ستركنا ولا نعرف ما هو الحج وماهي العمرة ومتى نؤديهم؟

وكذلك كمال عدله سبحانه يوجب أنه حين يضع حدوداً ويجعل على تعديها عقوبات واضحة في كتابه، فهذا يعني أنها ستكون واضحة بحيث يستطيع الناس تطبيقها دون أن يظلم أي أحد، فمثلاً حين يقول (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، لا بد أن يعرف الناس من الزانية ومن الزاني اللذان يستحقان هذه العقوبة.

وحين يقول لنا (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، لا بد أن يعرف الناس ما السرقة التي يستحق عليها السارق قطع يده، وكيف نقطع يده؟ وإلا قد يتعرض الناس للظلم والعقوبة بشكلٍ جائر.

فالأمر أشبه بدستور سماوي والرسول صلى الله عليه وسلم هو القاضي الذي عينه رب السموات والأرض واضع هذا الدستور ليكون خير من يطبقه وهذا من كمال عدله.

هكذا لن يقول الناس يا رب تعدينا حدودك لأننا لم نفهم مرادك، وهذا ما قاله تعالى في سورة النساء (رُسُلًا مُّبْتَلِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥))، فسبحانه وضع الحدود و أرسل من يبين للناس ويوضح لهم مراده عز وجل وما يرضيه وما لا يرضيه.

سبحانه كم هو رؤوفٌ رحيمٌ بعباده، عزيزٌ حكيمٌ في مقامه، حكمٌ عدلٌ في كلامه.

سبحانه القادر على كل شيءٍ ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وكمال قدرته تستوجب أنه حين يُنذر رسوله أنه لو تقولَ على الله ونسبَ شيئاً من كلامه لله عز وجل فإن الله سيُعجل له العقوبة كما قال تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧)

والرسول صلى الله عليه وسلم قال الكثير والكثير من الأمور في دين الله، وأنه أوجب على المسلمين اتباعه في العبادة وفي أحكامه ولم تنزل عليه عقوبة، فهل هذا من نقص قدرة الله وحاشاه، أم لأن هذا يُرضي الله عز وجل؟

**سبحانه بالتأكيد لأن هذا أمر يرضيه عز وجل وإن لم يكن يرضيه لعجل بعقوبته كما توعد.**

وكذلك حين يقول الله عز وجل أنه سيحفظ الذكر الذي أنزله، كمال قدرته يوجب أن يكون الحفظ للكلام المنزل وللمعنى المراد من هذا الكلام، فهذا أمر لا يعجز عنه.

وأما حفظ الكلام فقط هذا يعني أنه وحاشاه لم يكن قادراً على حفظ المعنى المراد، وهذا أمر لا يستقيم فكما أنه قادرٌ على حفظ الكلام فهو أيضاً قادر على حفظ المعنى المراد من هذا الكلام، حتى يعرف الناس كيف يعبدوا ربهم ويعرفوا حدوده، وما يرضيه وما لا يرضيه ولا يكون النص مفتوحاً للناس، كلٌ يفسر الكلام بحسب هواه وما رآه، فلا بد من إطار يحدد المعنى الذي قد يفهم من هذا الكلام حتى يكون المعاني التي قد تفهم خارج هذا الإطار هي معاني خاطئة بلا شك.

## المبحث العاشر

### مناقشة الادعاء

أن القرآن وحده هو صراط الله المستقيم

ثم انتقل المؤلف لفقرة جديدة عنونها لها بعنوان (القرآن هو صراط الله المستقيم وما عداه خروج عن الصراط المستقيم).

واستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة الأنعام (وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ).

وكذلك قال المؤلف أن الله أمر باتباع (القرآن الصراط المستقيم دون غيره) واستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة الأنعام (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

ثم أردف قائلاً (أن اتباع الحديث هو من اتباع السبل المنهي عنها وأن من المفارقات أن علماء الحديث يسمون الإسناد بالطريق أو السلسلة، وزعم أن اتباع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هي سبب تفرق المسلمين).

#### والمؤلف يستمر في تفسيره المنحاز لكتاب الله

هذا ما تعودنا عليه في أسلوبه، هو فقط أقام الفكرة ثم بدأ يبحث عن آيات تدعم فكرته، ويقوم بلي عنقها ويضيف لها من عنده كلمات حتى تكون متوافقة مع فكرته.

فكما رأينا لا يوجد آية واحدة وردت في كتاب الله تحصر الصراط المستقيم في القرآن فقط، وحتى لو تنزلنا للجدال وقلنا لنفرض أن القرآن فقط هو الصراط المستقيم، وجاء رجل أعجمي ودخل الإسلام ونريد أن نعلمه تعاليم القرآن والحلال والحرام هل سنعطي له القرآن فقط ونقول له تفضل هذا هو الحلال والحرام؟

أم سنعلمه اللغة العربية أو سنعطيه ترجمات لمعاني القرآن الكريم ونلحقه بدار دعوة يعلمونه الحلال والحرام، والشعائر والعبادات؟

وهذا لأنه بالتأكيد سيحتاج لمن يعلمه ويفهمه دين الله، ونحن كذلك في كل زمان منذ عهد النبوة نحتاج لمن يعلمنا الأحكام والتشريعات في كتاب الله، وما أحله الله وما حرمه علينا، وما أمرنا به من طاعات نتقرب به إليه.

فكيف نعرف الصلاة ومواقيتها وصفتها، والطهارة التي نستعد بها إليها، والزكاة ومقاديرها، والحج والعمرة وأحكامهما والعديد من الأحكام لو تركنا كل شخص وفهمه لكتاب الله فلن نجتمع المسلمين في طريق واحد ولا خط مستقيم واحد كما يزعم، بل سنجد كل شخص وله طريقه الذي يسير فيه وفق ما فهم هو من كتاب الله.

وهذا بالتحديد هو سبب فتنة الناس ونشأة المذاهب العقديّة الفاسدة، فكل فرقة نشأت ودعت لمذهب عقدي في التاريخ الإسلامي ستجدها تعتمد في أصولها على آيات من كتاب الله، ولكن الحقيقة هي أنهم اعتمدوا على فهمهم لهذه الآيات، وليس على مراد الله

من هذه الآيات، وهذا منذ الخوارج الذين ظهروا في عهد الصحابة، كان أهم ما يدعون إليه هو الاحتكام لكتاب الله وحده وكانوا يرون أنه لا حكم إلا لله، ولكن ماذا بعد أن دعوا للاحتكام لكتاب الله؟

كانوا يرون بكفر مرتكب المعصية أو الكبيرة في زعمهم، بل ورد شهادته وهدر دمه، ولكن هل هذا حقا تحكيما لكتاب الله؟

أم فهم خاطئ لكتاب الله؟

ماذا عن باب التوبة الذي فتحه الله لكل من يقبل عليه، هل بسهولة هكذا نغلقه أمام الناس ونجعلهم ييأسون من رحمة الله، ونقول لهم من ارتكب معصية هو خالد مخلد في النار! ومن منا ليس له ذنب ويستتره الله عز وجل، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس: (ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب، يعتاده الفينة بعد الفينة، أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه، حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خلق مُفْتَنًا، تَوَابًا، نَسِيًا، إذا ذُكِرَ ذَكَرَ) أخرج الطبراني (٣٠٤/١١) (١١٨١٠)، والقضاعي في ((مسند الشهاب)) (٨٠٩)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧١٢٤)

وأما عن مراد الله، فخير ما يبينه لنا هو ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم ودعا له، وكان عليه أصحابه الذي نزل القرآن بلسانهم، فهم كانوا الأقدر على فهم هذا الكلام لأن لغتهم كانت سليمة، ويتحدثونها بينهم دون تكلف، بخلاف كل الأجيال التي جاءت بعدهم واختلطت اللسان الأعجمي مع اللسان العربي بعد توسع الفتوحات وامتدادها للبلاد الأعجمية.

بل ستجد أن أغلب هذه الفرق والطوائف ترفض الاحتجاج بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعل من أشهرها المعتزلة فهم كانوا يرفضون الاحتجاج بالأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويرون أنها تفيد الظن ولا يجب أن تبني عليها العقائد، وسبحان الله من يعيد نفس كلامهم اليوم هم من أنكروا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا فالدعوة إلى ترك الأحاديث الصحيحة ليست إلا دعوة إلى ترك سبيل المؤمنين الذين يجتمعون عليه ويسيروا فيه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ما حذر منه الله عز وجل في قوله تعالى في سورة النساء (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ۗ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

بل وهذا ما أخبرنا الله عز وجل به أن الصراط المستقيم والسير إلى الله عز وجل على بصيرة لا يكون إلا في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في سورة يوسف (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .

**فقل لي بالله كيف نترك البصيرة ثم نزع أننا نبصر الطريق!!!**

ختاماً بخصوص كلامه عن الإسناد فلا أدري أكان يعلم أن القرآن الكريم وصل لنا أيضاً بالإسناد مع الرجال أم يظن أنه وصل لنا مع ملائكة من السماء!

فالإسناد الذي يسخر منه ولا يعترف به منكرو السنة جميعاً، هو أمر نتميز به على سائر الأمم.

فنحن نعلم كل كلمة نسبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف وصلت لنا ونحن على بعد خمسة عشر قرناً منه، والفضل يعود لهذا الإسناد الذي يسخرون منه.

وقل لي بالله أي أمة غير أمتنا تستطيع أن تثبت الكلام الذي ينسب لنبينا، وتقيم الأدلة على ذلك؟

أو حتى تملك جزءاً من الأدلة والقرائن التي نملكها نحن على ذلك؟

لا يوجد وهذا والله الحمد من حفظ الله عز وجل لهذا الدين، فهو حفظه مع رجال صانوا هذه الأمانة، ونقلوه لنا جيلاً بعد جيل، وقد سبق الكلام عن هذا الأمر في المبحث الثاني في هذا الكتاب في إطار حفظ الله للقرآن.

المبحث الحادي عشر

مناقشة الادعاء

أن القرآن هو الحكمة

انتقل المؤلف لفقرة جديدة وضع لها عنوانا وهو (القرآن هو الحكمة)، وأراد أن ينفي تفسير المفسرين لكلمة الحكمة التي ترد في كتاب الله بأنها سنة الرسول صلى الله عليه وسلم

وقال أن ليس دائما العطف ب (الواو) يقتضي المغايرة، فقد يكون للتوضيح والتفضيل وليس للمغايرة، واستدل بقوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ) فهو اعتبر أن الفرقان والضياء والذكر كلها أوصاف للتوراة، وعلل لذلك بقوله تعالى (وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) واعتبر أن لهذا السبب التوراة هي الضياء وهي الذكر، وأن العطف أتى للتوضيح والتفصيل وليس للمغايرة!

ودليله الثاني كان قوله تعالى مخاطبا عيسى ابن مريم عليه السلام (وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) واعتبر أن الله عز وجل لم يعلم عيسى ابن مريم أربع أشياء منفصلة معلا لذلك بقوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ)، فقال أن هنا الحكمة تعني الإنجيل ثم بعدها مباشرة كما أقتبس من كلامه في الصفحة السابعة والثلاثين قال (أن الآية تلخص قوله تعالى (الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) إذن فالحكمة هي كتاب الله).

ولا أدري حقيقة كيف يدعي أن (الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) ليست أربعة أشياء منفصلة!

وجميع البشر يعرفون أن التوراة غير الإنجيل، فهذا كتاب نزل على موسى عليه السلام، والآخر نزل على عيسى عليه السلام وكان بينهما مئات السنين، بل إنه بنفسه بعدها مباشرة عدل عن قوله وقال أن الحكمة هي كتاب الله وسكت.

وهذا يبين تماما تخبطه وعدم ثبات موقفه فهو فقط يريد أن ينفي ان الحكمة هي السنة ولا يهمه أن يأتي بكلام وينقضه بعدها المهم أن يوهم القارئ أنه يملك أدلة على ادعاءه، وسكوته بعد كلمة كتاب الله دون أن يوضح ما المقصود بكتاب الله يدل على تخبطه وتشنته، فنحن نعلم أن القرآن كتاب الله والتوراة كتاب الله والإنجيل كتاب الله، كما أن هناك كتابا عند الله كتب فيه الغيب وما كان وما سيكون وكل المقادير منذ خلق الله الخلق إلى قيام الساعة، لذا لفظ كتاب الله لا بد أن نحدده بأي من هذه الكتب نقصد.

ثم أكمل أدلته بقوله تعالى في سورة الإسراء (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) وأن الحكمة من أوصاف القرآن وذكر آخر دليل على ذلك وهو قوله تعالى (وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ) واعتبر أن قوله تعالى يعظكم به جاء بصيغة المفرد وليس المثني ليدل على أنهما شيء واحد، انتهى من كلامه.

والمؤلف هنا أراد أن يخالف الجميع في جعل الحكمة تعني الكتاب فقط، ولقد تكرر ذكر الحكمة في كتاب الله فتارة تأتي مفردة، وتارة تأتي مقرونة إما بالكتاب أو بالملك أو بآيات الله، لذا فهي تفسر بحسب السياق فقد تفسر بالنبوة أو بالفهم الصحيح أو بالفقه في الدين أو بشيء من الوحي المنزل أو بما جاء في القرآن وما غير ذلك.

وذهب أغلب المفسرين أن الحكمة المعطوفة على الكتاب إذا كانت متعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيراد بها سنته وذلك لدلالة العطف المقتضي للمغايرة ولدلالة السياق ولمقتضى موافقة قوله تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكم) مع تواتر تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم من أحكام الإسلام التي لم تذكر في القرآن كالصلاة والزكاة وغيرها.

ذكر الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) قولاً عن قتادة أنها الحكمة وأنقل لكم قوله (حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: (وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ): أي: السنة، قال: يمتن عليهم بذلك).

وهذه الحكمة هي من الله عز وجل لكل الأنبياء كما قال تعالى في سورة آل عمران (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)

وحين أراد أن يجعل أن دلالة العطف لا تقتضي المغايرة واستدل بقوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ)، ولكننا لا نستطيع القول بصحة هذا الادعاء، فالفرقان هنا والضياء والذكر ليسوا فقط التوراة كما يدعي، وهذا لأن موسى عليه السلام لم يؤت من الله عز وجل التوراة فقط، بل وكان معه تسع آيات بينات كما قال تعالى في سورة الإسراء (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ)، وكذلك التوراة لم تنزل عليه إلا بعد خروجه من مصر ونجاته من بطش فرعون والقصة كما جاءت في سورة الأعراف حيث قال تعالى:

(قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَتَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)

وكما قرأنا في الآيات أنه أخذ الألواح ورجع إلى بني إسرائيل ثم وجدهم يعبدون العجل فألقى الألواح من يده بعد أن أصابه الغضب من هول ما رأى، والشاهد هنا قبل أن يأخذ موسى عليه السلام الألواح التي هي التوراة، هل لم يكن معه ذكر من الله يعلمه بني إسرائيل؟

حتى نعرف الجواب عن هذا السؤال نسمع لقوله تعالى في سورة يونس (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧)

وهنا أثبت الله عز وجل أنه كان لموسى عليه السلام في مصر وحي، وهذا قبل أن يأخذ التوراة والألواح من الله عز وجل، وهذا الوحي علمه إقامة الصلاة وهذه الصلاة كما وصفها الله عز وجل في سورة طه هي (من الذكر) كما قال تعالى (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)

أي أننا الآن لدينا مع موسى عليه السلام تسع آيات، ووحى قبل التوراة، بالإضافة إلى التوراة، ولذلك حين يقول عز وجل ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ) فنحن نستطيع القول أن المعنى يحتمل أن يكون الفرقان هو الآيات التي فرقت بين الحق والباطل وأقامت الحجة وخاصة أمام تحدي السحرة ووقع بها الحق وبطل ما كانوا يعملون، والضياء قد يكون في الوحي أو في التوراة التي تحمل الهدى والنور لبني إسرائيل، والذكر قطعاً يشمل معنى أوسع من التوراة ليعلم بني إسرائيل كيف يذكرون ربهم من تعاليم الوحي وهو الذي منه تعلم الصلاة قبل نزول التوراة.

وأما عن كلامه عن عيسى بن مريم، قال تعالى:

(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...

هذه الآية حجة عليه من وجوه عدة نستعرضها معا

الوجه الأول

التوراة غير الإنجيل وهذا معلوم لأي أحد

قال تعالى (وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) المائدة

فالإنجيل نزل خاصا بسيدنا عيسى عليه السلام والتوراة كانت موجودة من قبله، هو صدق بها كما قال تعالى (مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور)

والكتاب وصفٌ ورد ذكره على أكثر من شيء، فهناك كتاب لا يعلمه إلا الله فيه كل الخلائق والمقادير كما قال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ۗ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) .

وطبعا لا يعلم أحد بكتاب أنزله الله على الأرض فيه ذكر كل دابة تدب على الأرض ولا كل طائر

وقال أيضا (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) النمل

أي أن هناك كتاب لا يعلمه إلا الله كتب فيه جميع الغيبيات والخلائق

وهو يختلف عن الكتاب الذي نزل للمرسلين فيه الشريعة الخاصة بهم

فقال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۗ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۗ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا).

إذن الآية (ويعلمه الكتاب) (إذ علمتك الكتاب) يكون لدينا احتمالان لمعنى الكلمة وهو هل علمه من تعاليم الكتاب الذي عند الله وفيه مقادير كل شيء، أم يقصد به علمه الكتاب الخاص به وهو الإنجيل؟

طبعا سيكون المعنى هو يعلمه من الكتاب الذي عند الله والذي كتب فيه مقادير كل شيء والدليل في ذلك هو ذكر (التوراة والإنجيل) فالتوراة تختلف عن الإنجيل، إذن الكتاب المذكور به تعاليم تزيد عن تعاليم الإنجيل، وهذا يرجح أن المعنى المراد يعلمه من تعاليم الكتاب الذي عند الله وهذا الكتاب أيضا نزل منه القرآن الكريم كما قال تعالى في سورة الزخرف (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)

وهذا لا يعني أنه علمه كل الكتاب وإنما علمه من العلم الذي في الكتاب كما نقول لشخص تعاليمك اللغة العربية وقطعا لا نستطيع أن نعلمه كامل قواعد اللغة والنحو والصرف والبلاغة والمفردات وإنما سيتعلم شيئا منها ينفعه.

ختاما الحكمة هي مفهوم واسع لحسن التصرف وإنزال الأمور في منازلها، وهذا الشيء يؤتيه الله لمن يشاء وليس فقط الأنبياء

كما قال تعالى (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ...)

وقد ذكر الله عز وجل شخصا آتاه الحكمة وهو لقمان، ولم يرد ذكر أنه كان نبياً أو مرسلًا لقومه، فلا جاءت آية يصرح فيها بنبوته ولا جاء تلميح في القرآن يذكر أنه أرسل لقوم وكل ما ذكر عنه هو تعاليمه لابنه

قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٩)

لذا فالحكمة لها مفهوم خاص بها وليس فقط تعاليم الكتاب وهي أوسع من أن نحصرها بتعاليم من داخل الكتاب.

والقرآن أسلوبه بليغ تحدى ببلاغته جهابذة العرب، لا يمكن أن يأتي بكلمة ويعطفها على نفسها فهذه ركافة تنتقص من بلاغة الأسلوب القرآني وجماله وحسن بيانه.

والله تعالى أعلى وأعلم

## الفصل الثاني

### المناقشة حول

### (الرسول والنبى)

## تمهيد

في هذا الفصل يريد المؤلف القيام بأمر عجيب لم يجرؤ عليه أي أحد من قبل، وحتى لم نقرأ عنه عند أهل البدع في القرون السابقة، ألا وهو جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل أكثر من شخصية!

هكذا ببساطة تجرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعله مصاباً بانفصام في الشخصية، شخصية النبي وهو يزعم أن لا طاعة لنبى، إذن يريد منا ألا نطيعه صلى الله عليه وسلم حين يتقمص شخصية النبي، وشخصية الرسول، وخمن عزيزي القارئ ماذا يريد منا حين يكون النبي صلى الله عليه وسلم يؤدي شخصية الرسول؟ نعم هو أيضاً لا يريد من أحد اتباع شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما يزعم أن الاتباع للرسالة التي يبلغها وكفى وانتهت مأموريته!!

وهكذا ببساطة تكون خطوات الشيطان، لن يقول لك بشكل مباشر لا تتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون في صدام مع الآيات التي تأمر بكل صراحة باتباعه صلى الله عليه وسلم، ولكن يجعلك تنسلخ من هذا الاتباع خطوة خطوة، وليته سيكتفي بعد ذلك، بل سيجعلك لا تتبع حتى القرآن نفسه، وهذا أيضاً ما دعا له المؤلف تحت مسمى التدبر، يريد أن يجعلك تخالف فهم القرآن وفق قواعد وضوابط تعارف عليها أهل العلم، لتجعل لنفسك ديناً وتشريعات خاصة بك، كما تفهم من كتاب الله ولا تلتزم بسبيل المؤمنين الذي حذر الله عز وجل من مخالفته، وسبحانه تعالى أخبرنا في الآيات الأولى في كتاب الله في سورة البقرة عن هذه الصفات للمنافقين، وكيف أنهم يزعمون إيمانهم بالله ولكن بطريقتهم الخاصة والتي يخالفون فيها المؤمنين، وهم لا يعلمون أنهم أبعد الناس عن الإيمان بالله عز وجل وعن معرفة طريق الهدى عياداً بالله فقال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)

فهؤلاء يزعمون أن لهم فهماً جديداً لكتاب الله، وأنهم غير مطالبون بفهم من سبقهم وهكذا يبررون لأنفسهم مخالفة المعاني التي جاءت بها الآيات بدعوى الحداثة والقراءة الحديثة للآيات.

وما نناقشه بين سطور هذا الفصل يعد مثلاً على هذه القراءة الحديثة لكتاب الله، فملخص التفريق بين النبي والرسول في نظر منكر السنة هو التفريق بين مقام النبوة ومقام الرسالة، ولكن...

## هل اختلف مقام النبوة عن مقام الرسالة؟

الأمر فيه تفصيل، هل هذا التفريق بين شخصين مختلفين، أم لنفس الشخص؟

إن كان لشخصين مختلفين ذكر في القرآن أن أحدهما كان نبياً والآخر رسولاً، فنقول نعم نجتهد للبحث عن مهام النبي وكيف اختلفت عن مهام الرسول، ولكن أن يكون نفس الشخص نبياً ورسولاً فكيف نقول أنه مصاب بانفصام في الشخصية، وأن له مقام نبوة اختلف عن مقام الرسالة، ومثل هذا الكلام الغير منطقي، فالناس حوله لن يسألوه أنت اليوم تخاطبنا كنبي أم كرسول!!

هو في كل الأحوال مرسلٌ إليهم من الله عز وجل وهم مأمورون بطاعته واتباع أوامره

ويضرب لنا منكر السنة مثلاً لاختلاف المقامات، وهو الشخص قد يكون أباً ومعلماً في مدرسة، وقد يجمع أيضاً وظيفةً أخرى وهكذا يكون نفس الشخص وله أكثر من مقام

## وهذا قياس فاسد

فالشخص يكون أباً بعد أن يتزوج وتكون له زوجة، ويعمل في وظيفة بعد أن يدرس ويملك المؤهلات التي تؤهله للعمل في هذه الوظيفة فكي يعمل معلماً يحتاج أن يدرس علوماً تربوية وحتى يكون مهندساً أو طبيبياً يحتاج أن يدرس علوماً مختلفة وكل وظيفة يكون لها مهام ومكان عمل والتزامات وأهداف تختلف تماماً عن الوظيفة الأخرى، وهكذا نقول مقام المدرس يختلف عن مقام المهندس عن مقام الأب أو ما شابه، وهذا الكلام لا ينطبق على النبي والرسول.

فكلاهما يتلقى العلم عن الله عز وجل وكلاهما يرسل لقومه ليعلمهم عن ربهم وما يرضيه وما يغضبه، فهما يمدان الجسور بين الناس وربهم، وينيرون لهم الطريق المستقيم الذي يصلون من خلاله لرضا خالقهم عز وجل، ولهذا قال تعالى في سورة يوسف (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)

فهل مثلا الرسول مرسلٌ من ربه والنبي غير مرسلٍ من ربه؟

اسمع للجواب في قوله تعالى في سورة الحج (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)).

ولذلك نقول أن جوهر عمل النبي هو نفس عمل الرسول، وفعلياً الفرق بينهما لا يكاد يذكر، ولو عصى قوم نبيهم يستحقون العقاب كما لو عصى قوم رسولهم يستحقون كذلك العقاب.

فكيف حين يكون الشخص نفسه نبياً ورسولاً؟

هل يعقل أن يجعله الناس ثلوثياً يسير بين الناس بثلاث مقامات فتارة يكون شخصاً عادياً وتارة يكون نبياً وتارة رسولاً!!

الأمر ليس بهذه الفلسفة والسفسطة، فالرسول صلى الله عليه وسلم مرسلٌ من ربه ليعلم الناس ما يرضي الله عز وجل وما يغضبه، وهو بشر يأكل ويشرب وتزوج النساء وعاش حياته كأبي بشر، وهذا حال جميع الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى في سورة الفرقان (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ<sup>٢٠</sup> وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ<sup>٢١</sup> وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠)

ولذلك أهل العلم تناولوا حياته وناقشوا أفعاله وأقواله وما كان يفعله بطبيعته البشرية، أو مجبول عليها من مأكّل ومشرب، وما كان يفعله تعبدًا لله ليتقرب به إلى الله عز وجل، وما كان من أفعاله الخاصة التي ورد بها أمر خاص للنبي فقط مثل إباحة الزواج من النساء بأكثر من أربع فهذا كان أمر خاص له في بداية الأمر كما قال تعالى في سورة الأحزاب (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّاكِ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>٢٢</sup> قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يُكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ<sup>٢٣</sup> وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)

ثم في آخر حياته نزل النهي له عن الزواج من النساء وهذا أيضا نهى خاص به وحده كما قال تعالى (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ<sup>٢٤</sup> وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢)).

الخلاصة أن أهل العلم لم يتركوا لنا شيئاً إلا وناقشوه ووضحوه وقدموا لنا العديد والعديد من التفسيرات للآيات والأحاديث بأدلة صحيحة وطرق استدلال صحيح، فهم ساروا وفق قواعد ومنهجية منضبطة لذا جاء كلامهم سهلاً يقبله العقل متماشياً مع الآيات دون

أي تعقيد للأمر، وعلى الطرف الآخر نرى الحداثيين لا يملكون منهجية منضبطة وكلما وضعوا قاعدة وجدناها تخالف صريح منطوق الآيات قبل أن تخالف مفهومها، بل وإن قواعدهم سرعان ما ينقضونها ويخالفونها بأنفسهم، وإن شئت فقل هم لا يملكون أي قاعدة ولا منهجية من الأصل لفهم كتاب الله وتكون محققاً تماماً.

وثمره هذه اللامنهجية وما يريدون الوصول إليه ليس فهما حديثاً لكلام الله، وإنما هو في حقيقته انسلاخاً من الأحكام والتشريعات التي فرضها الله وبينها مع رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وإعطاء مبررات لعدم الالتزام بها، فهم يقولون لنا فقط كتاب الله، وكتاب الله لم يفصل الكثير من العبادات فلم يخبرنا بعدد الصلوات ولا صفتها وكيف نقيمها ومتى نقيمها، لذا تجد منهم من يتخذ هذا مبرراً لعدم الالتزام بالصلاة ويقول هذه أمور عفا الله عنها ولن نكون كبنِي إسرائيل نتشدد فشدد الله عليهم ، وإنما لله وإنما إليه راجعون.

هؤلاء فعلاً كانوا كبنِي إسرائيل، ولكن ليس في تشددهم، وإنما في تحايلهم على شرع الله كما تحايل أصحاب السبت الذين نهاهم الله عز وجل عن الصيد يوم السبت فألقوا شباكهم يوم الجمعة وأخذوها الأحد وقالوا هكذا لم نصطاد في يوم السبت، ودين الله وأحكامه ليست لعبث العابثين، ولا مكر الماكرين، سبحانه غني عن العالمين ، لذا من تسول له نفسه التحايل على شرع الله، فلن يضر إلا نفسه وليحذر العقاب الأليم من رب العالمين كما حل عقابه على أصحاب السبت، فمسخهم قرده خاسئين، وساء عاقبة المنذرين.

وحتى لا نطيل لنستعرض سويًا كلام المؤلف وناقش أدلته التي ساقها وكيف أخطأ في استدلاله بها، ونسأل الله أن يرينا الحق حقاً وأن يرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً وأن يرزقنا اجتنابه.

المبحث الأول

مناقشة الادعاء

أن الخطاب في القرآن ب(النبي)

يراد به شخص الرسول صلى الله عليه وسلم

يزعم المؤلف أن هناك فرقاً جوهرياً بين الرسول والنبى، ودون أن نستطرد كثيراً هو زعم أن شخصية (النبى) هي وصف كما يزعم لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم والذي له حياته الخاصة، وتصرفاته البشرية، ويرى أن هذه التصرفات ما استوجبت عتاب الله عز وجل له (ولهذا وصفه بالنبى قبل العتاب) كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ ...) وفي أسرى بدر (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ )

وكذلك قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وهنا لنا وقفة قبل أن نستعرض باقي كلامه وأدلته التي ساقها **فهذه الآية الأخيرة لم تكن عتاباً للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما دفاعاً عنه ضد افتراءات المنافقين وهذا ما ذكره ابن كثير في تفسيره لهذه الآية حيث قال:**

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا خصيف، حدثنا مقسم حدثني ابن عباس أن هذه الآية: (وما كان لنبي أن يغل) نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: أخذها قال فأكثرنا في ذلك، فأنزل الله: (وما كان لنبي أن يغل ومن يغل يأت بما غل يوم القيامة)

وكذا رواه أبو داود، رحمه الله، والترمذي جميعاً، عن قتيبة، عن عبد الواحد بن زياد، به. وقال الترمذي: حسن غريب. ورواه بعضهم عن خصيف، عن مقسم - يعني مراسلاً. وروى ابن مردويه من طريق أبي عمرو بن العلاء، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: اتهم المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فقد، فأنزل الله، عز وجل: (وما كان لنبي أن يغل)

وقد روي من غير وجه عن ابن عباس نحو ما تقدم. وهذا تبرئة له، صلوات الله وسلامه عليه، عن جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك.

ولهذا استدلال المؤلف بها فيه نوع من التدليس على القارئ، بل ولا نبالغ إن قلنا فيه اتهام للرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان له خيانة وحاشاه، وأن الله عز وجل عاتبه على قيامه بمثل هذا الفعل القبيح الذي ينأى عنه أهل الشرف والأمانة فكيف بالنبیین الذي استأنهم رب العباد على الوحي وعلى تعاليم شرعه، هذا كلام لا يكون أبداً في حقهم.

ثم تابع المؤلف سرد أدلته وعتاب الله عز وجل لرسوله (حين استغفر لبعض أقاربه) في قوله تعالى ( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ )

**وهنا لنا وقفة أخرى مع قول المؤلف حين استغفر الرسول (لبعض أقاربه) وأعرض**  
عن ذكر من الذين كان يستغفر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، فلو قرأنا قليلا في  
السيرة نعرف أنه أراد أن يستغفر لعمه أبي طالب ولأبويه، وهذا ما ذكره ابن كثير في  
تفسيره لهذه الآية حيث قال:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن  
أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو  
جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال " :أي عم، قل: لا إله إلا الله. كلمة أحاج لك بها عند  
الله، عز وجل . " فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة  
عبد المطلب؟ قال: فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد  
المطلب .[فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك . " فنزلت) :ما  
كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين  
لهم أنهم أصحاب الجحيم (قال: ونزلت فيه) :إنك لا تهدي من أحببت (القصص: ٥٦)

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا زبيد بن الحارث  
اليامي عن محارب بن دثار، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه  
وسلم ، فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب ، فصلى ركعتين ، ثم أقبل علينا  
بوجهه وعيناه تدرقان ، فقام إليه عمر بن الخطاب وفداه بالأب والأم، وقال : يا رسول  
الله ، ما لك ؟ قال " : إني سألت ربي ، عز وجل ، في الاستغفار لأمي ، فلم يأذن لي ،  
فدمعت عيناى رحمة لها من النار، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث: نهيتكم عن زيارة  
القبور فزوروها ، لتذكركم زيارتها خيرا، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث،  
فكلوا وأمسكوا ما شئتم، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية ، فاشربوا في أي وعاء ولا  
تشرابوا مسكرا.

وروى ابن جرير، من حديث علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه؛ أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قبر، فجلس إليه، فجعل يخاطب،  
ثم قام مستعبرا .فقلنا: يا رسول الله، إنا رابنا ما صنعت. قال " :إني استأذنت ربي في  
زيارة قبر أمي، فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي . " فما رئي باكيا  
أكثر من يومئذ.

وقال ابن أبي حاتم، في تفسيره: حدثنا أبي حدثنا خالد بن خدّاش، حدثنا عبد الله بن  
وهب، عن ابن جريج عن أيوب بن هاني، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال:  
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إلى المقابر، فاتبعناه، فجاء حتى جلس إلى  
قبر منها، فواجه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب، فدعاه ثم  
دعانا، فقال " :ما أبكاكم؟ " فقلنا: بكينا لبكائك. قال " :إن القبر الذي جلست عنده قبر  
أمنة، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي " ثم أورده من وجه آخر ، ثم ذكر من  
حديث ابن مسعود قريبا منه، وفيه " :وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي ،

وأُنزل على): ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى (فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكر الآخرة "النتهى).

وما أقسى هذه اللحظات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينهاه الله عز وجل عن الاستغفار لأبويه، وهم أقرب الناس له، بل وعن عمه الذي رباه ودافع عنه حتى في بداية دعوته، ولكن لأن رابط الإيمان بالله أقوى الروابط، وحق الله عز وجل على عباده أن يفرده بالوحدانية والعبادة هو أجل الحقوق، وكان لزاماً علينا أن يهون أي رابط نجتمع فيه مع من يفرط في حق الله، حتى ولو كان هذا الرابط هو رابط الأبوة والأخوة كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

والرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لهم قبل أن ينهى عن الاستغفار لهم، ولكن حين نزل النهي امتثل أمر الله عز وجل أي أنه لم يخالف أمر ربه أبداً.

ونعود مرة أخرى للأدلة التي ساقها المؤلف فهو أكمل بقوله تعالى (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

### وهذه الآية من الآيات التي قد تفهم بشكل خاطئ هي والآية التي ذكرها بعدها

وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا... وكذلك قوله تعالى ( فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فهذه الآيات لا تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم لكونه مذنباً، والدليل على ذلك أن الله عز وجل أخبره أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما قال تعالى في بداية سورة الفتح ( إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)، فطالما أن الله عز وجل غفر له ذنبه فهو لا يحتاج أن يستغفر لذنبه - وهو صلى الله عليه وسلم أبعد ما يكون عن الذنب ومعصية الله عز وجل- لذا فالهدف من الأمر بالاستغفار أن يكون قدوة يتعلم منه المؤمنون كيف يكون الاستغفار من الذنب، وهذا ما ذكره البغوي في تفسيره لهذه الآية حيث قال: ( واستغفر لذنبك ) أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته.

وأما عن التوبة فهل هي واجبة على المذنب فقط - حتى لا يجول في خاطر أحد شيئاً في حق الرسول صلى الله عليه وسلم -؟

لنعلم الجواب دعنا نتأمل قوله تعالى (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الذَّنْبِ، بُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، فالله عز وجل أمر جميع المؤمنين بالتوبة وهذا لأن التوبة سبيل الفلاح

،والأمر هنا جاء في خطاب (جميع المؤمنين) المذنب وغير المذنب، أي أن التوبة واجب في حق الجميع المذنب وغير المذنب ولا يلزم أن نتوب إلى الله أن نكون وقعنا في ذنب ، كما أن الاستغفار هو من توقيير الله عز وجل كما قال تعالى على لسان نوح عليه السلام في سورة نوح (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)

وهذا ما كان يعلمنا إياه الرسول صلى الله عليه وسلم ففي حديث أبي هريرة والذي أخرجه البخاري رحمه الله أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)

ونعود مع كلام المؤلف : قال أن القرآن خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في علاقته مع أزواجه بالنبي كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) ، وقال أيضا خاطب الرسول في علاقته بمن حوله بالنبي كما قال تعالى ( النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۗ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ )

والمؤلف يريد أن يثبت ادعائه أن (النبي هو شخص محمد صلى الله عليه وسلم البشري وعلاقاته الخاصة، وأما حين ينطق بالقرآن فهو الرسول الذي تكون طاعته طاعة لله ) بل وقال (أن النبي محمد بصفته أول من يطيع القرآن وأول من يطبقه على نفسه).

أي أنه يقر أن النبي صلى الله عليه وسلم طبق القرآن

وفساد هذا الادعاء واضح من وجوه عدة ونذكر منها:

أولاً: الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل كانوا بشراً أيضاً، ونقل لنا الله عز وجل اعتراض الكفار على رسلهم لكونهم بشراً في أكثر من موضع في القرآن، ليبين أن هذا الأمر ليس بحجة تبطل وجوب اتباع المرسلين فقال تعالى

\* وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا...  
الإسراء ٩٤

\* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ...  
النحل ٤٣

\* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ..  
يوسف ١٠٩

\* مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۗ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ... الأنبياء  
٧

\* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.... الرعد ٣٨

\* وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۗ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا... الفرقان ٧

**ولعل في إرسال الله عز وجل للبشر حتى يكونوا أول من يطبق شرع الله وأحكامه وحلاله وحرامه ليكونوا قدوة وأسوة للناس**

فالناس حين ترى شخصا مثلهم، يتعرض لما يتعرضون له من الجوع والألم والمرض والغنى والفقر، ويتاجر ويتزوج ويكون له أولاداً وذرية، ثم يقوم بالتكاليف التي أوجبها الله عز وجل على الناس في كل حال يتعرض له، هكذا يكون لدينا منهج متكامل نحذو حذوة وليس كلاماً نظرياً جاء مع ملك من السماء يختلف طبيعته عن طبيعة البشر ولا يحس بما يحسون به من جوع وألم ومرض ولا يتزوج النساء، عندها سيقول الناس هذا ملك ولا يحس بما يحس به البشر من المشاعر، وله قدرة على القيام بالتكاليف تختلف عن قدرتنا، وهكذا قد يفرط الكثير من الناس في القيام بالتكاليف التي أوجبها الله عليهم، وأشار الله عز وجل لهذا الأمر في سورة الإسراء في قوله تعالى (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا) (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥).

ولهذا حين سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان خلقه القرآن (والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم (٢٥٨١٣))

**بل إن المؤلف قال بنفسه أن الرسول كان أول من طبق القرآن، إذن فنحن باتباع تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن، نتبع القرآن أيضاً ولكن في صورة عملية وليس في صورة كلام نظري ويختلف الناس في تطبيقه**

فمثلاً أمرنا الله عز وجل أن نؤتي الزكاة، ولم يبين لنا ما هو مقدارها ومتى نخرجها وهل هي خاصة بالأموال أم بالزروع أم بنوع معين من السلع، ففي كل هذا قد يرى كل شخص رأياً خاصاً به ويقول هذا ما فهمته، لا يا عزيزي أمر هام كالزكاة تكرر

عشرات المرات في كتاب الله بل وجعله الله عز وجل من أبرز شعائر الدين كما قال تعالى في سورة التوبة (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) فلن يتركه الله هكذا دون أن يبينه أو يفصله، أو يترك الناس يختلفون فيه وهو يريد الأمة أن تجتمع وتعتصم بحبل ربها، ولا يرضى لها الخلاف والتفرق.

كما أن الله عز وجل أرشدنا حين نختلف في فهم أمر من أوامره إلى أن نرجع لكتاب الله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في سورة النساء (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)

وسبحانه العزيز الحكيم يفصل ما يشاء من أحكام في كتابه، ويترك لرسوله ما يشاء من تبيانه، سبحانه لا يسأل عما يفعل، فلن نقول له لماذا لم يرد تفصيل هذه الأحكام في القرآن؟

سبحانه لحكمة هو يريدنا أن يكون تفصيلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ويراه الناس كيف يبينها لهم، وهذا ما قاله تعالى في سورة النحل (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

وهذا الأمر من وظائف الرسول كما أخبر تعالى في سورة آل عمران (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)

فالرسول ليس فقط يتلوا الآيات ويترك الناس، بل هو أيضا مأمور أن يعلم الناس الاحكام والحلال والحرام والعبادات وما أوجبه الله على الناس وما نهاهم عنه ليكون هو القدوة والمنهج الذي يسير عليه الناس من بعده كما قال تعالى في سورة الأحزاب (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)

**ثانيا: القول أن (النبي) فقط يراد بها شخص الرسول صلى الله عليه وسلم هذا كلام باطل فالله عز وجل خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف (الرسول) ثم انتقل بالكلام بكاف الخطاب ليبين أن الكلام موجه لشخصه فقال تعالى**

\* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا .... النساء ٦١

وهذه الآية لعلها من أوضح الآيات أن الدعوة هي لاتباع شيئين هما ما أنزل الله والرسول، ثم جاء الصد عن شخص الرسول المخاطب بكاف الخطاب (عنك) وأكده بالمفعول المطلق صدوداً...

وسبحان من جعل الصد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبرز علامات المنافقين في كل زمان، بل وجعل الاحتكام لرسوله شرطاً من شروط الإيمان كما قال تعالى

\* (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) النساء ٦٥

\* وأيضا قوله تعالى

(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) النساء ٨٠

كما أن الله عز وجل أخبرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم له نفس، وأنه شخص مثلنا كما قال تعالى

\* (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) التوبة ١٢٨

\* (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) آل عمران ١٦٤

\* (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ) التوبة ١٢٠

لهذا محاولة قصر المؤلف لوصف النبي على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم هي تخالف القرآن الذي أثبت أن الخطاب بالرسول أيضا يقصد به شخص الرسول

ثالثا: التفريق بين النبي والرسول هذا يكون عندما نتحدث عن شخصين مختلفين

فنقول هذا ذكر في القرآن أنه نبي ولم يذكر أنه كان رسولا، إذن فالمقصود أنه كان له وظائف ومهام معينة تقتصر على النبي، وتختلف عن المهام التي كانت موكلة للرسول، وأما أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم يوصف بالنبي تارة، وبالرسول تارة فهذا يراد به نفس الشخص بلا شك، وستجد القرآن حين يذكره بأي صفة سواء وصف بالنبي أو وصف بالرسول أو وصف بعبد الله، فهو يتكلم عن نفس الشخص، وليس عن شخص مصاب بمرض انفصام في الشخصية يبرز بين الناس كل يوم في ثوب مختلف وأفعال مختلفة، ولهذا قال تعالى في سورة الأعراف (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)

## رابعاً: نبذة عن آيات العتاب

ما جاء في آيات العتاب التي وردت في كتاب الله هو من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، ولا يقلل أبداً من شأنه كما يزعم المبطلون.

فمن غير المنطقي أن يأتي شخص ويقول أنه يأتيه الخبر من السماء ويأمر الناس بطاعته واتباع أوامره، ثم يقول فيما يبلغ عن ربه أنه عاتبه، أو أنه يقول له أن يلتزم بأوامر الله وأن يتقي الله في أسلوب شديد اللهجة ويحذره من مخالفة أوامر ربه!

أي شخص يريد الزعامة والرفعة، لن يقول مثل هذا الكلام في حق نفسه، بل سيكون كلامه في شأنه كله مديح وإبراز لقوة شخصيته وشكيمته وحسن تصرفه، فهذا يعزز من موقفه أمام الناس، كما أن النفس البشرية في طبيعتها تحب المديح والثناء وتنفر من اللوم والعتاب، فلماذا يبلغ كلاماً فيه عتاب في حقه إلا إن كان هذا من أمانة التبليغ.

أي أنه حين يبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم عتاب ربه عز وجل له في أسرى بدر مثلاً فهذا من دلائل النبوة وأنه يبلغ ما ينزل إليه حقا بكل أمانة.

## وأما في شأن أسرى بدر

قال تعالى (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨))

لم يكن هناك حكم نزل من الله بخصوص الأسرى وعصاه الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما الأمر كان شورى والرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بالرأي بداء الأسرى والرفق معهم، وفعله الذي فعله هذا إنما قام به قبل أن ينزل حكم الله فيهم الذي ذكره في الآية التي تسبقها (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ)، والدليل أن الله عز وجل لم ينزل عليهم عذاباً أو يحل عليهم عقاباً كما توعدهم في الآية وهذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (حديث رقم ١٧٦٣) حيث قال فيه :

قال أبو زُمَيْلٍ: قال ابنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسْرَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ؛ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمْكِنَ عَلَيْنَا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِنِّي مِنْ فُلَانٍ -نَسِيبًا لِعُمَرَ- فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَصَنَائِدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوِ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ

بُكَاءَ بَكَيتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ تَبَاكَيتُ لِبُكَائِكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبْكَى لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - شَجَرَةِ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} إِلَى قَوْلِهِ {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]، فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ

**وذكر الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى ( لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ):**

وقال آخرون: معنى ذلك: (لولا كتاب من الله سبق)، أن لا يؤخذ أحداً بفعل أتاه على جهالة (لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم).

\* ذكر من قال ذلك:

١٦٣١٦ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: (لولا كتاب من الله سبق)، لأهل بدر ومشهدهم إياه، قال: كتاب سبق لقوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ [سورة التوبة ١١٥]، سبق ذلك، وسبق أن لا يؤخذ قوماً فعلوا شيئاً بجهالة (لمسكم فيما أخذتم)، قال ابن جريج، قال ابن عباس: (فيما أخذتم)، مما أسرتم. ثم قال بعد: فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ

ثم قال بعد أن انتهى من عرض الكثير من الأقوال المأثورة في تفسير هذه الآية:

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، ما قد بيناه قبل.

وذلك أن قوله: (لولا كتاب من الله سبق)، خبر عامٌ غير محصور على معنى دون معنى، وكل هذه المعاني التي ذكرتها عن ذكرتها، مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤخذ بشيء منها هذه الأمة، وذلك: ما عملوا من عمل بجهالة، وإحلال الغنيمة، والمغفرة لأهل بدر، وكل ذلك مما كتب لهم.

وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى، وقد عم الله الخبر بكل ذلك، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه.

ويريد بذلك رحمه الله أن الآية خبر عام أن الله قد كتب عنده ألا تؤخذ الأمة بشيء عملوه بجهالة، وأنه أحل لها الغنيمة وأنه قد غفر لأهل بدر وهذا كله يدخل في معنى (كتاب من الله سبق) في توضيح لما هو هذا الكتاب الذي سبق عند الله.

## وأما عن ما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه

في قوله تعالى في مطلع سورة التحريم (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)

هذا الأمر الذي حرمه الرسول صلى الله عليه وسلم كان في شأنه الخاص بينه وبين أزواجه، كما ذكر في الآية (تبتغي مرضات أزواجك) والقصة كما أوردها الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره:

وقال آخرون: بل حرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاريتته، فجعل الله عزَّ وجلَّ تحريمه إياها بمنزلة اليمين، فأوجب فيها من الكفارة مثل ما أوجب في اليمين إذا حنت فيها صاحبها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ أمر الله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين إذا حرموا شيئاً مما أحلَّ الله لهم أن يكفروا أيمانهم بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، وليس يدخل ذلك في طلاق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ) ... إلى قوله: وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قال: كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهبت حفصة إلى أبيها، فتحدثت عنده، فأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جاريتته، فطلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة، فأخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاريتته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سؤتني، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَاللَّهِ لَأَرْضِيَنَّكَ فَإِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكَ سِرًّا فَاحْفَظِيهِ! " قالت: ما هو؟ قال: " إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ سُرِّيَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ رِضًا لَكَ "، كانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرت إليها أن أبشري إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حرم عليه فتاته، فلما أخبرت بسرَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أظهر الله عزَّ وجلَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ) ... إلى قوله: وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا هشام الدستوائي، قال: كتب إلي يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير، أن ابن عباس كان يقول: في الحرام يمين تكفرها.

وقال ابن عباس: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ يَعْنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ جَارِيَتَهُ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) ... إِلَى قَوْلِهِ: قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ فَكُفِّرْ بيمينه، فصير الحرام يميناً.

وهذا ما أخرجه الإمام البخاري (٥٢٦٦)، ومسلم (١٤٧٣) عن ابن عباس أنه قال:

إِذَا حَرَّمَ امْرَأَتَهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَقَالَ: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}

أي أن هذه الحادثة الله عز وجل أراد أن يبين لنا حكماً شرعياً فيها وهو أن هذا التحريم كفارته ككفارة اليمين ولهذا قال في الآية التي تليها (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ<sup>٢</sup> وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢))، والأمر يرجع طبعاً كما يرى الفقهاء لنية الرجل وهذا مبحث فقهي يناقشه أهل الفقه.

وعلى كل فهذا كان من شؤون الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة وكل شخص له شؤونته وحياته الخاصة ولم يكن تحريماً وتحليلاً في أمر الناس وإنما هو كان بالامتناع عن شيء أحله الله له فأمسك عنه، ولفظ التحريم ورد في كتاب الله بمعنى الامتناع أيضاً وليس فقط يعني حكماً شرعياً محرماً، كما جاء في قصة موسى عليه السلام فقال تعالى في سورة القصص (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ..) فالتحريم هنا هو بامتناعه عن الرضاعة، أي أن لفظ التحريم ليس فقط مقتصر على الأحكام الشرعية وإنما قد يرد بمعنى الامتناع أيضاً.

المبحث الثاني

مناقشة الادعاء

أن الطاعة ليست لشخص النبي وإنما للرسالة

وأن الرسول تعني الرسالة

يزعم المؤلف أن طاعة الرسول تعني طاعة النبي حين ينطق بالرسالة!

وذكر في كتابه (أن النبي صلى الله عليه وسلم بصفته البشرية هو أول من يطيع القرآن وأول من يطبقه على نفسه!)

ولا أدري لماذا إذن يرفض المؤلف اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم طالما يقر بأنه أول من طبق القرآن على نفسه؟

هذا والله أمر عجيب، ومتناقض وغير مفهوم ألبته.

نحن حين نستعرض حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إجمالاً نستطيع أن نصف أقواله وأفعاله في التشريع والعبادات بأنها تدرج تحت قسمين اثنين:

### • القسم الأول:

هو ما ابتدأه الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه قبل أن يأتيه الوحي، والرسول له مطلق الحرية طالما لم ينزل الوحي يبين حكم الله.

وكل ما قاله أو فعله صلى الله عليه وسلم في الدين قبل أن يأتيه الوحي يندرج تحت **خيارين اثنين**:

### • الخيار الأول

أن ينزل الوحي ويبين ما يرضي الله فيه، ولهذا نجد آيات في كتاب الله فيها عتاب له صلى الله عليه وسلم مثل:

مثل مسألة أسرى بدر التي ناقشناه في المبحث السابق فقال تعالى

(مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ فِي الْأَرْضِ مَا تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٩) الأنفال

وفي هذه الآيات بين لنا عز وجل كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حراً في فعل ما يشاء طالما لم ينزل الحكم من الله عز وجل فقال (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

ومثل عبوسه في وجه الأعمى الذي لم ير هذا العبوس أساساً فقال تعالى

(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَزَكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤)

فلك أن تتخيل أن الله عز وجل عاتبه في عبوس بوجه أعمى لم ير ذاك العبوس، ألن يعاتبه لو جانب الصواب في أمور أشد تخص دين الله، وما أحله للناس وما حرمه؟

### • وأما عن الخيار الثاني

فهو ألا ينزل الوحي فيكون هذا إقراراً من الله عز وجل على أن هذا الفعل رضيه ولم يغضبه، وبالتالي لا حرج من اتباعه، بل ويستحب اتباعه تأسياً واقتداءً بالنبى صلى الله عليه وسلم عملاً بقوله تعالى ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ) (٢١) الأحزاب

### • والقسم الثاني

من أفعاله وأقواله صلى الله عليه وسلم في الدين ما نزل بها وحي وهو بلغه، مثل كيفية ومواقيت الصلوات المفروضة.

روى جابر بن عبد الله أن جبريل أتى النبي، يعلمه مواقيت الصلاة فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وأتاه حين كان الظل مثل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العصر ثم أتاه حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم أتاه حين غاب الشفق فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الغداة . ثم أتاه اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع مثل ما صنع بالأمس، فصلى الظهر ثم أتاه حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العصر ثم أتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالأمس فصلى المغرب فمنا ثم قمنا ثم قمنا فأتاه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العشاء ثم أتاه حين امتد الفجر وأصبح والنجوم بادية مشتبكة فصنع كما صنع بالأمس فصلى الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين وقت.

(والحديث أخرجه النسائي (٥١٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٦٨/١) وابن خزيمة (١٨٢/١))

ولذلك لا نجد سبباً مقنعاً يمنع من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، طالما أنه تحت منظور الوحي، والله عز وجل لن يتركه ليضل الناس عن سبيله، وهو رسوله الذي اختاره واصطفاه ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأخبر سبحانه أن الرسول يدعو الناس إلى صراط مستقيم، فلماذا نأبى اتباعه ونسير خلفه في هذا الصراط!

والمؤلف لم يقف عند هذا الأمر، بل جاء أيضا بأمر آخر أكثر عجباً، حيث قال في الصفحة الرابعة والأربعين أن (لكلمة النبي معنى محدد وهو ذلك الرجل الذي اختاره الله من بين البشر لينبئه بالوحي ليكون رسولاً)

وحقيقة لا أخفيكم التعجب الذي ملأني من هذا التناقض في جملته هذه فقط، فكثير من الأسئلة لم أجد لها جواباً بسبب هذه الجملة فقط منها:

- ذكر أن النبي معه الوحي فلماذا يقول هو فقط شخص الرسول؟
- الوحي الذي يأتي مع النبي ألا يرى أنه واجب الاتباع؟
- سرعة التحول من النبي للرسول عنده والتي لا تخفي نواياه في جعل النبي له دور هامشي لا يكاد يذكر، فهو قال نصاً (نبأه الله بالوحي ليكون رسولاً)، إذن لماذا وصف بالنبي طالما أن نزول الوحي عليه جعله رسولاً؟؟؟
- فهو وصف لنا شخصاً اختاره الله وأنزل عليه الوحي فأصبح رسولاً، ولكن لماذا وصف بالنبي وما الدلالة من هذا الوصف؟؟؟
- القرآن أخبرنا عن أنبياء وصفهم الله بالنبوة ولم يصفهم بالرسالة فما الفرق بينهم وبين الرسل أوبين الأشخاص العاديين والعباد الصالحين؟
- ونذكر منهم إسحاق ويعقوب فقال تعالى في سورة مريم (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)، وبعدهم في نفس السورة ذكر إدريس أنه كان نبياً كما قال تعالى (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧))
- القرآن أخبرنا أن الله عز وجل أعطى للنبيين كتاباً وحكمة وهم ليسوا رسلاً فما هذا الكتاب، ولماذا هم ليسوا رسلاً طالما معهم كتاباً وحكمة كما قال تعالى في سورة آل عمران (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا أَقْرَضْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا ۗ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١))

فالمؤلف تركنا أمام العديد من الأسئلة التي تكشف هشاشة هذا الادعاء، وكيف أنه يمتلك الكثير من الأسئلة التي تغافل عنها، ولم يقدم لها تفسيراً

**وأمر أخير نحن نقرأ في القرآن أن النبي معه وحي**

قال تعالى في سورة النساء (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ ....)

**ونحن مأمورون باتباع الوحي مطلقاً**

قال تعالى في سورة الأنعام (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦))، ونحن ملزمون باتباع الوحي لأنها تعاليم الله عز وجل، وحلقة الوصل بين الخالق عز وجل وبين عباده وأوامره لهم، فقال تعالى (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ

يُكَلِّمُهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِيَدِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ (٥١) الشورى

ولو أعرضنا عن الوحي نكون أعرضنا عن الله عز وجل وأوامره، وسنحاسب بين يديه سبحانه عن هذا الإعراض، ونسأل الله العافية والسلامة.

والعجيب أن الله عز وجل أوحى للنحل فامتثل أمر ربه، فاصطفاه الله عز وجل وأخرج من بطونه شراباً حلواً فيه شفاء للناس، بل وأنزل سورة في القرآن سميت باسم هذه الحشرة العظيمة التي أطاعت وحي ربها سبحانه، حيث قال عز وجل في سورة النحل ( وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)

فلك ان تتخيل أن العديد من البشر رفضوا اتباع الوحي مع النبيين والمرسلين، واختلقوا الأعداء والحجج الباطلة، فكانوا في منزلة أقل من الحشرة التي امتثلت لأمر ربها وصدق الله عز وجل حين قال ( وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) فوالله هؤلاء المعرضون عن الوحي أضل من الحشرة وليس فقط الأنعام، والحشرة أفضل منهم مقاما بسبب اتباعها لوحي ربها.

ثم انتقل المؤلف لفقرة جديدة في صفحته الرابعة والأربعين ضمن استدلاله على الادعاء الذي ادعاه ان الرسول يعنى الرسالة أو القرآن، فقام باستعراض المعاني التي أتى بها كلمة رسول في القرآن الكريم فقال:

الرسول قد يعنى النبي كما في قوله تعالى في سورة الأحزاب (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ، وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)

وهنا لا بد أن نتوقف قليلا ...

الآية السابقة أكدت على نفس المعنى الذي ذكرناه في المبحث السابق، بل وإن المؤلف أراه أقر ضمناً بهذا الأمر، وهو أن التفريق بين الرسول والنبي حين يكون الحديث عن شخصين مختلفين، وأما الفرق بين الرسول والنبي في نفس الشخص لا يهم، فالمهم أن هذا الشخص كان نبياً ورسولاً، وهذه أوصاف له نفسه، ولهذا لو ذكره القرآن بوصف النبي أو الرسول أو حتى باسمه فهو يقصد في النهاية شخص واحد.

وهناك آيات كان يتحدث القرآن عن النبي ثم التفت بالحديث عن الرسول ليبين أنه يتحدث عن شخص واحد

مثل قوله تعالى في سورة التوبة (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١))

فإنه عز وجل حين أخبر عن صفة من صفات المنافقين وهي إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره مرة بوصف (النبي) في بداية الآية، ثم في نفس الآية ذكره مرة أخرى بوصف (رسول الله)

ومثل قوله تعالى في سورة (المؤمنون) ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١))

وهذا دليل واضح أن القرآن لم يفرق في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأي وصف المهم أن الكلام على نفس الشخص.

ولعلنا نقف قليلا مع هذه الآيات لنستفيد من هذه الرسالة الربانية من الله عز وجل، والتي حذرنا فيها من اتباع فلان أو علان أو أي شخص، سواء كان مدعياً للحدث أو التنوير أو الفهم الجديد لكلام الله، وهو يهدف لجعل فهمه لكتاب الله خيراً من فهم رسوله صلى الله عليه وسلم، أو ينفي أن الرسول كان له وحياً خارج القرآن فيحرم الناس من اتباع الوحي المنزل لهم من ربهم، أو ما شابه من حجج ليبعد الناس مع اتباع سبيل الهدى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الحجج لا يوحىها لهم إلا الشياطين ليضلوا الناس عن سبيل الله كما قال تعالى في سورة الأنعام ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢))

فحين يحذرنا الله عز وجل ويبين لنا أعداءنا وأعداء الأنبياء في كل زمان ومكان، ووجب علينا أن نصغي لهذا التحذير، وأن نعطيه أهمية وأن نكون متيقظين لما حذرنا منه، سبحانه رحيم بنا عليم خبير لا يخفى عليه شيء، لم يترك لنا أمراً إلا وأخبرنا عنه، فله الحمد والثناء الحسن.

كما أن القرآن ذكر رسلاً آخرين بوصف النبي والرسول مثل موسى عليه السلام فقال تعالى في سورة مريم (وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَوْسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١))

وذكره بعدها مباشرة في نفس السورة عن إسماعيل عليه السلام فقال تعالى (وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤))

ولهذا نؤكد على أن الادعاء في التفريق بين النبي والرسول هذا حين يكون الحديث عن شخصين مختلفين، وكان أحدهما نبيا فقط والآخر رسولا، أما لو كان الكلام عن شخص واحد فلا نرى أن القرآن وضع فرقا في الحديث عن وصفه بالنبي أو وصفه بالرسول، في النهاية الكلام يفهم عن نفس الشخص.

ونعود للمؤلف بعد ذلك ذكر معاني أخرى لكلمة رسول، مثل جبريل عليه السلام أو الملائكة أو شخص يحمل الرسالة من شخص لآخر. ومن ضمن المعاني التي ذكرها لكلمة رسول هو (الرسول بمعنى الرسالة أو القرآن)!!! هو يرى أن كلمة (رسوله) في القرآن لا تعني مطلقا شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنها لا تدل إلا على كلام الله.

واستدل على ادعائه هذا:

بقوله تعالى (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَلِّىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١))  
وقوله تعالى (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠))

وقوله تعالى (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩))  
وقوله تعالى (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢))

فهو يرى أن الضمير المفرد في الآيتين الآخرتين يعني أن الله ورسوله شيئا واحداً وإلا لكان جاء الضمير مثنى ليعود على شيين فيقول وتعزروه وتوقروه أو يقول في الآية الثانية والله ورسوله أحق أن يرضوهما بدل عن (يرضوه)

**وهنا نقف قليلا لنبين منهج المؤلف المتناقض بسبب تفسيره لكتاب الله وفق هواه**

فهو حين أراد أن يجعل ذكر الله في القرآن وحده قال في صفحته الثانية والثلاثين من كتابه: أن الضمير في كلمة وحده يعود على شيين اثنين في قوله تعالى (إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) الإسراء، فجعل الضمير المفرد، بل ومعه كلمة (وحده) التي توحى أن الكلام على شيء واحد، ولكن هو جعله يعود على شيين هما الله عز وجل والقرآن معا واعتبر أن هذا من الاعجاز البلاغي في القرآن!

فالأمر حين يوافق ما يريده من نتيجة أو فكرة يريد أن يستدل عليها، يعتبره إعجازاً بلاغياً، وحين يخالف فكرته يقوم بالاعتراض على نفس ما كان يبرر له ويعتبره إعجازاً بلاغياً من قبل، وهذا محض اتباع للهوى والرأي وليس اتباعاً لمنهج مطرد يلتزم به في كافة تفاسيره وتدبره لكتاب الله، ولهذا نرى هذا التناقض الواضح في كلامه.

ويجوز أن يكون ضمير الغائب المفرد عائد على الله عز وجل في قوله تعالى (لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) في الأفعال الثلاثة ويجوز أن يكون التعزيز والتوقير للرسول والتسبيح لله عز وجل، يقول الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير حيث قال:

ضَمَائِرُ الْعَيْبَةِ الْمَنْصُوبَةِ الثَّلَاثَةُ عَائِدَةٌ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ لِأَنَّ إِفْرَادَ الضَّمَائِرِ مَعَ كَوْنِ الْمَذْكُورِ قَبْلَهَا اسْمَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَحَدَهُمَا. وَالْقَرِينَةُ عَلَى تَعْيِينِ الْمُرَادِ ذِكْرُ "وَتُسَبِّحُوهُ"، وَإِنَّ عَطْفَ "وَرَسُولِهِ" عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ اعْتِدَادٌ بِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالرَّسُولِ ﷺ إِيمَانٌ بِاللَّهِ فَالْمَقْصُودُ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنْهُ: إِنَّ ضَمِيرَ تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ عَائِدٌ إِلَى رَسُولِهِ.

**والله عز وجل أخبر في سورة المائدة أن تعزيز الرسل من الإيمان بالله فقال تعالى:**

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْ مَوَاهِبَهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢)

كما أمر في أكثر من موضع في كتاب الله بتوقير الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى في سورة النور **(لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا** قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لِيُؤَادُوا فَلَيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

وقال في سورة الحجرات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)

**وهذه الآيات كفيلا لإبطال دعوى المؤلف بالتفريق بين النبي والرسول لأن الله عز وجل أمر الصحابة أن يعضوا أصواتهم عند رسول الله ووصف الرسول بالنبي ثم وصفه بالرسول وهو يتحدث عن نفس الأمر في نفس الموضع وهذا يؤكد على أن القرآن لم يفرق في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء وصفه بالنبي أو وصفه الرسول**

وكما ذكرنا في المبحث السابق كيف أن القرآن به العديد من الآيات التي تحدثت عن الرسول ثم توجهت بالحديث ب (كاف الخطاب) لتبين أن الحديث موجه لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) النساء ٦١

وأن هناك العديد من الآيات التي تحدثت أن الرسول له نفس مثل بقية الناس أي تحدثت عن بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم وليس كما يدعي المؤلف أن الرسول يعني الرسالة أو القرآن مثل قوله تعالى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)،

وبعض الآيات تحدثت على أن الرسول له مشاعر ويرضى عن الناس مثل قوله تعالى في سورة التوبة (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)

ويحزن لكفر الناس وعدم اتباعهم للحق كما قال تعالى في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ).

وبعض الآيات تحدثت على أن رسول الله خرج للجهاد وتخلف عنه المنافقون كما قال تعالى في سورة التوبة (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوا لَلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)

والأمر الأخير المهم هو كيف تناول المؤلف القرآن بتفسير ركيك، وهو كلام الله المعجز لجميع العرب وذلك بسبب بلاغته وفصاحته وجمال بيانه، كيف يظن أنه يأتي بقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ويقصد في النهاية من الطاعتين أنها اتباع للقرآن فقط؟

والله هذا لا يكون في كلام أحد الفصحاء، فكيف بكلام الله عز وجل!

فالحق سبحانه طالما ذكر طاعتين مستقلتين، فإنه يقصد حتما طاعتين مختلفتين، ولا مجال لتفسير هذا الأمر بغير ذلك إلا أن يأتي نص صريح ينفي الطاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن العجيب أن هذا ليس فقط لم يحدث، وإنما جاءت العديد من الآيات التي تثبت الطاعة لشخص رسول الله مثل:

١ \* التي جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة مثل قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) الأحزاب

٢ \* وآيات تأمر بالاحتكام لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بل ونفت الإيمان على من لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) النساء

وآيات تحذر من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاقفته والحيد عنه:  
مثل قوله تعالى (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ  
الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) النساء  
وهذه الآية حذرت من مشاققة الرسول صلى الله عليه وسلم، واتباع سبيل غير سبيل  
المؤمنين، وسبيل المؤمنين منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا الحالي  
لم يعرف فيه أن هناك أحداً ينفى الطاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وبهذا تبطل كل دعوى تريد ان تنزع الطاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وترد  
حكمه.

### ثم ماذا بعد ان نرفض الاحتكام لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

أخبرنا الله عز وجل عن الجواب في قوله تعالى (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ  
أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ  
(٥٠) القصص

إذن هو أمر واضح إما أن نتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما أن نتبع  
الهوى ونضل عياداً بالله كما أخبرنا الله عز وجل.  
ونعوذ بالله من اتباع الهوى

المبحث الثالث

مناقشة الادعاء

أن أقوال النبي تختلف عن أقوال الرسول

ثم انتقل المؤلف لادعاء جديد، حاول فيه أن يثبت أن هناك فرقاً بين كلام النبي وكلام الرسول!

ومن يسمع للكلام في أول وهلة يظن أنه مثلاً سيناقش بين كلام لأشخاص مختلفين أحدهم كان نبياً والآخر رسولاً، أو أنه بصدد مناقشة كلام في الأحاديث النبوية للرسول صلى الله عليه وسلم، لكن الأمر لم يكن كذلك بتاتاً، فالمؤلف فاجئنا بأنه يستعرض آيات من القرآن الكريم يزعم في بعضها أن الله عز وجل يخاطب شخصية (النبي) وفي البعض الآخر يخاطب شخصية (الرسول)!

سبحان الله هل يظن حقاً أن الناس الذين كانوا يعيشون في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يسألونه قبل أن يتحدث هل تخاطبنا الآن بشخصية النبي أم بشخصية الرسول!

أمر كهذا لم يحدث إلا في مخيلة المؤلف، فالناس كانوا يتحدثون معه ويسألونه وينتظرون منه إجابته ويطيعون أوامره عملاً بقوله تعالى في سورة النور (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١))، لذا محاولة مناقشة ادعاء كهذا فيه ضرب من ضروب الخيال عند المؤلف والذي يخالف الواقع نفسه قبل أن يخالف كتاب الله عز وجل كما سنبين لاحقاً إن شاء الله.

وتنزلاً للجدال سنستعرض كلامه ونبين بعض الأخطاء والتناقضات التي سقط فيها.

في البداية المؤلف فرض من عنده ان مدلول وصف (النبي) في القرآن، هو شخص رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في حياته وعلاقاته الخاصة، وأما وصف (الرسول) فهو يتكلم عنه باعتباره رسولا ينزل عليه الوحي ليبلغه للناس، وقد استعرضنا سابقاً فساد مثل هذا الكلام وأن لو كان هناك فرق بين النبي والرسول فهو يكون بين شخصين مختلفين وليس في نفس الشخص كما يدعي المؤلف، ودلنا على ذلك بالعديد من الأدلة ويكفيها منها قوله تعالى في سورة التوبة ( وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) ) فهو هنا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوصفين معاً (النبي والرسول) في نفس الآية ويحذر من نفس الشيء وهو أذنيه صلى الله عليه وسلم .

## أقوال النبي

يرى المؤلف أن الله عز وجل حين يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بشخصه فهو يخاطب النبي وأن القرآن يتحدث عن شخصية (النبي)، واستعرض لنا بعض الآيات التي يخاطب الله عز وجل الرسول بشخصه وأنه لا يملك أن يغير من القرآن أو يبدله واستدل ببعض الآيات التي يخاطب فيها الله عز وجل شخص الرسول صلى الله عليه



اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : اكَتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ.

**والآيات تتحدث عن شيء واضح، وهو أن القرآن ليس من اختلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا فهو لا يستطيع أن يبدله أو يغير فيه من شيء، ولم تذكر شيئاً عن أن الرسول لا يتكلم في الدين بغير القرآن، في حين أن لدينا آيات أخرى تقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا بالوحي**

أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوحى له بكلام آخر غير القرآن، وهذا معنى جاء بصريح النص ودلالة المنطوق من أقوى الدلالات التي يمكن أن نحتج بها.

**وكذلك المؤلف أهمل العديد من الآيات التي تخاطب النبي بشخصه وتأمراً باتباعه والاحتكام له وتحذراً من عصيانه ومخالفة أمره**

فلو اتبعنا نفس منهج المؤلف في فرضيته أن الآيات التي تتحدث عن شخص النبي صلى الله عليه وسلم تخاطبه بصفته نبياً وليس رسولاً سنجد العديد من الآيات التي تتكلم عن شخص النبي وتأمراً باتباعه والاحتكام إليه وتحذراً من عصيانه فلماذا أهملها ولم يذكرها؟ ونذكر منها:

\* قوله تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) آل عمران، وفي تفسيره لهذه الآية ذكر ابن كثير قولاً لطيفاً نسب للحسن البصري حيث قال: (وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

\* وقوله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ، وفي هذه الآية يقسم الله عز وجل أن الاحتكام لرسوله صلى الله عليه وسلم شرط من شروط الإيمان وخاطبه ب(شخصه) حيث قال (يحكموك).

وما أعظم أن يقسم الله عز وجل بنفسه على شيء، وهو لا يحتاج أن يقسم سبحانه الحق لا يقول إلا الحق

\* وقوله تعالى في سورة الشعراء (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦)

\* وقوله تعالى: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لِيُؤَادُوا فَلَاحِدًا فَلَاحِدًا الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (قال الضحاك، عن ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل، عن ذلك، إعظاماً لنبويه، صلوات

الله وسلامه عليه قال: فقالوا: يا رسول الله، يا نبي الله. وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير.

وقال قتادة: أمر الله أن يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود. وقال مقاتل [بن حيان] في قوله: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) يقول: لا تسموه إذا دعوتموه: يا محمد، ولا تقولوا: يا بن عبد الله، ولكن شرفوه فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم في قوله: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) قال: أمرهم الله أن يشرفوه.

هذا قول. وهو الظاهر من السياق، كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا) [البقرة: ١٠٤]، وقال (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) إلى قوله: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم) [الحجرات: ٢-٥] فهذا كله من باب الأدب [في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته].

\* بل إن الله عز وجل جعل مجرد رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم محبطاً للأعمال، فكيف بمن يرفع رأيه ويقدم فهمه على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى في سورة الحجرات:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣))

وكما نرى خاطبه عز وجل في نفس الموضوع عن نفس الأمر وهو عدم رفع الأصوات فوق صوته صلى الله عليه وسلم بالصفنتين معا (النبي والرسول)

## أقوال الرسول

وأما عن أقوال الرسول فزعم المؤلف أن أقوال الرسول ليست إلا في كتاب الله والذي كان من أكثر ما تكرر فيه قوله تعالى (قل)، ويزعم أن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم قد كتبها الرواة بعد وفاة النبي وهي عن سيرته وتشمل الحق والباطل. وكلامه هذا غير صحيح جملة وتفصيلاً.

**نبدأ بالفكرة الخاطئة عند البعض ويروج لها الكثير ومنهم المؤلف، وهي تأخر تدوين**

**الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**

وهذا كلام خاطئ تماماً، فتدوين الأحاديث بدأ منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن جمعها هو ما تأخر لأن الاهتمام كان منصبا على جمع القرآن الكريم أولاً، فلما

منَّ الله عز وجل على هذه الأمة بأن اجتمعت على مصحف واحد يجمع كلام الله دون اختلاف، أو أن يكون مع كل بلد أو جماعة مصحف يختلف رسمه عن البلاد الأخرى، بعدها بدأ الاهتمام ينصب على جمع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### الأدلة على تدوين الأحاديث زمن النبي صلى الله عليه وسلم

#### ١ \* أشهر وأقدم صحيفة دونت فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هي صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التي سماها الصادقة.

روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: "كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ وأريد حفظه، فنهتني قريش عن ذلك، قالوا: تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يتكلم في الرضا والغضب، قال: فأمسكت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأشار بيده إلى فيه، فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده: ما يخرج منه إلا حق...."

وهذا ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه في حديث أخرجه البخاري (رقم ١١٣) حيث قال «ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، أكثر حديثاً عن النبي ﷺ مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب».

كان عبد الله رضي الله عنه يحرص عليها جداً وقام بحفظها وصونها من أن ينالها شيء من الخلل والتغيير أو شيء من التلف، وكان يعتز بها جداً ويقول: "ما يرغبني في الحياة إلا خصلتان: الصادقة والوهبة، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله ﷺ. (ذكره الخطيب البغدادي في تقييد العلم).

وقد خصص لهذه الصحيفة صندوقاً محكماً يحتفظ به عنده، وإذا أراد أن يحدث أحياناً أو يتأكد عن شيء فإنه يرجع إليها ويروي منها.

وأحاديث عبد الله بن عمرو ليست قليلة فبلغ مجموع ما أسند رضي الله عنه سبع مئة حديث تقريباً، اتفق الشيخان على سبعة أحاديث منها، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين، وبلغ عدد أحاديثه في "المسند" سبعة وعشرين وست مئة (يعني بالمكرر). (مسند عبد الله بن عمرو) (الحديث ٦٢٨٦ – ٦٣٣٩ في مسند الإمام أحمد)

#### هذا وذكر محمد سيف الدين عليش في كتابه (عبد الله بن عمرو بن العاص وصحيفته الصادقة ص ١٤٢) إحصاءاً لأحاديث الصادقة عند الإمام أحمد وعند أصحاب السنن الأربعة وهي كالتالي:

- \* عند الإمام أحمد: ٢٠٢ حديثاً من إجمالي ما رواه عند عبد الله بن عمرو ٦٣٢ حديثاً.
- \* في سنن أبي داود ٨١ حديثاً من إجمالي ١٥٤ حديثاً لعبد الله بن عمرو
- \* عند النسائي ٥٣ حديثاً من إجمالي ١٢٨ حديثاً لعبد الله بن عمرو بن العاص

\* عند الترمذي ٣٥ حديثاً من اجمالي ٨٩ حديثاً رواها لعبد الله بن عمرو  
\* عند ابن ماجه ٦٥ حديثاً من اجمالي ١١٧ حديثاً رواها لعبد الله بن عمرو

## \*٢ ومن الأدلة أيضاً على تدوين الاحاديث في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حديث اكتبوا لأبي شاه

وقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه حديث رقم (٦٨٨٠) أنه لما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة، قام رجلٌ من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: اكتبوا لأبي شاه، وهذا أمرٌ صريحٌ بالكتابة لأحاديثه صلى الله عليه وسلم وأن الصحابة كانوا يكتبون هذه الأحاديث

## وأما عن ادعائه الآخر أن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تشمل الحق والباطل فهذا لا يقوله إلا شخص غير ملم بالمنهج النقدي الذي اتبعه المحدثون في نقد الأحاديث

فمن فضل الله على هذه الأمة أن المرويات التي نقلت إلينا عبر الأجيال لم تنقل مجردة وإنما تعرضت للنقد والبحث والتمحيص مراتٍ ومراتٍ من قبل علماء أفنوا حياتهم في تتبع هذه المرويات للبحث في صحيحها من سقيمها في ظروفٍ ليست بالسهلة تطلبت منهم الترحال والسفر لمسافاتٍ طويلةٍ ولأسابيع وربما لشهور بل ولسنوات عديدة، وكل هذا انطلاقاً من إيمانهم بأهمية هذه المرويات والموروث الديني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهمية وجود الوحي صافياً لينهل منه المسلمون متى شاءوا وحتى لا يفوتهم من الوحي شيءٌ ولا يفوتهم أجر العمل به ولكي لا يكونوا في حيرة من أمرهم زودهم بالأدلة والحجج التي يستطيعوا بها تمييز ما هو حقا من الوحي وما أدخل عليه بقصد أو بغير قصد فجزاهم الله عن هذه الأمة خير الجزاء.

وهذا مما تمتاز به أمتنا عن سائر الأمم فنحن نمتلك موروثاً دينياً تعرض للنقد بالفعل وعمليات النقد هذه مثلت سياجا منيعاً كي لا يدخل في الوحي ما ليس فيه ويعلم صحة أي قول لأي أحد قال قولاً في دين الله منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنحن نملك دليلاً على أنه قال ذلك أو لم يقله، وهذا الأمر بدأ مبكراً منذ القرون الأولى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولنا الحق أن نفتخر به بين سائر الأمم وأن نريهم كم أن لدينا تراثاً عظيماً قائماً على منهجية علمية قوية لم تمتلكها أي أمة من الأمم من قبلنا وأشاد مؤرخون من غير المسلمين بهذه المنهجية

## والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هل عمليات النقد التي تمت للمرويات هذه موثوقة؟ وكيف لنا أن نثق فيها؟

حتى نعرف هل هذا المنهج النقدي الذي انتهجه نقاد الحديث والمرويات صحيحاً أم به علة وجب علينا أن نقارنه بمناهج النقد المتعارف عليها في وقتنا هذا ويعرفها الباحثون، ولعل من أشهرها (المنهج التاريخي الاستردادي) وأهم المؤلفات في هذا المنهج كانت على يد العالمين الفرنسيين (لانجلو) و(سينوبوس) اللذين تقاسما كتابة (المدخل إلى الدراسات التاريخية) وظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٨٩٨ ونقله إلى العربية د. عبد الرحمن بدوي وطبع في القاهرة عام ١٩٦٣، ويعد من أهم الكتب الغربية في هذا الشأن.

وقد عالج الكتاب -كما جاء في مقدمته-:

شروط المعرفة في التاريخ، وعلاماتها وخصائصها وحدودها وعرف الوثيقة التاريخية وحددها، وكيف تعالج الوثائق من أجل الإفادة منها في التاريخ؟ وماهي الوقائع التاريخية؟ كيف تجمع لتشييد العمل التاريخي؟

وصاغ المؤرخ والباحث التاريخي (أسدرستم) - وهو غير مسلم - المنهج الاستردادي التاريخي بأسلوب تأثر فيه بأسلوب المحدثين المسلمين إلى الدرجة التي أطلق فيها اسم كتابه متأثراً بكتبهم فسماه (مصطلح التاريخ) متأثراً بكتب (مصطلح الحديث) بعد أن قرأ رسالة للقاضي عياض باسم تحري الرواية والمجيء باللفظ في المكتبة الظاهرية في دمشق وطبع كتابه مصطلح التاريخ أول مرة عام ١٩٣٩ ، وقال أسدرستم في كتابه ص ١٢ مثنيا على جهود المحدثين :

"لو اطلع مؤرخو أوروبا في العصور الحديثة على مصنفات الأئمة المحدثين لما تأخروا في تأسيس علم الميثودولوجيا حتى أواخر القرن الماضي".

والواقع أن الميثودولوجيا الغربية التي تظهر اليوم لأول مرة بثوب عربي ،

ليست غريبة عن علم مصطلح الحديث ، بل تمت إليه بصلة قوية ؛ فالتاريخ

دراية أولاً ثم رواية ، كما أن الحديث دراية ورواية . وبعض القواعد التي

وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتوصل إلى الحقيقة في الحديث ، تتفق في

جوهرها وبعض الأنظمة التي أقرها علماء أوروبا فيما بعد في بناء علم

الميثودولوجيا ، ولو أن مؤرخي أوروبا في العصور الحديثة اطلعوا على

مصنفات الأئمة المحدثين ، لما تأخروا في تأسيس علم الميثودولوجيا حتى

أواخر القرن الماضي .

مصطلح التاريخ، أسدرستم، ص (٤٧)

وبإمكاننا أن نصارح زملاءنا في الغرب ، فتؤكد لهم بأن ما يفاخرون به

من هذا القبيل ، نشأ وترعرع في بلادنا ، ونحن أحق الناس بتعليمه والعمل

بأسسه وقواعده .

وهذه شهادة من متخصص غير مسلم وليس له مصلحة في مدح علماء المسلمين وجهودهم، وأورد اقتباساً من كتابه:

### ونستعرض تزكية أخرى لمنهج المحدثين من مؤرخين غير مسلمين

القس المستشرق الإنجليزي (دافيد صموئيل مرجليوث) (١٨٥٨م - ١٩٤٠م، أحد كبار المستشرقين و استاذ اللغة و الآداب العربية بجامعة oxford و أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق

But though the theory of the *Isnad* has occasioned endless trouble, owing to the inquiries which have to be made into the trustworthiness of each transmitter, and the fabrication of traditions was a familiar and at times easily tolerated practice, its value in making for accuracy cannot be questioned, and the Muslims are justified in taking pride in their science of tradition.

"ورغم أن نظرية الإسناد قد أوجبت الكثير من المتاعب، نظرًا لما يتطلبه البحث في ثقة كل راو، ولأن وضع الأحاديث كان أمرًا معهودًا وجرى التسامح معه بسهولة أحيانًا، إلا أن قيمتها (نظرية الإسناد) في تحقيق الدقة لا يمكن الشك فيها، والمسلمون محقون في الفخر بعلم حديثهم"

(مارجيلوث؛ محاضرات عن المؤرخين العرب *Lectures on Arabic Historians* ، ١٩٣٠م، ص ٢٠)

### بدايةً ما هو المنهج التاريخي الاستردادي؟

الخطوة الأولى في المنهج الاستردادي هي البحث عن الوثائق وجمع ما يمكن جمعه من الوثائق باختلاف أنواعها (أثارا - نقوشا - مخلفات خطية - روايات) ، كل ما وصل إلينا عبر الزمن يحكي عن وقائع تاريخية. ثم يبدأ في عملية نقد تلك الوثائق حتى يصل لصورة صحيحة عن تلك الواقعة التاريخية من خلال:

- ١ \* اختيار وثائق وشواهد صالحة للدراسة.
  - ٢ \* القيام بالنقد الخارجي أو الظاهري أو النقد التحصيلي للوثائق.
  - ٣ \* القيام بالنقد الباطني للوثائق وتفسير محتواها والبيئة التي أحاطت بها لتلافي أي عملية كذب أو خطأ خفية وقعت فيها.
- أي أن المؤرخ يسعى إلى امتلاك الأدلة الكافية على إثبات الوقائع التاريخية أو النقاط المعرفية، ومن ثم يجمع بين النقاط المتجانسة ويربط بينها ليكون معرفة تاريخية متكاملة.

ولهذا كلما كان التاريخ الذي يبحث فيه المؤرخ غنياً بالشواهد والوثائق والروايات كلما سهل من عمله، ونتج عنه معرفة دقيقة، وكلما شحت الوثائق كلما قلت المعرفة الناتجة.

ومن أدبيات المنهج الاستردادي أيضا مراعاة طبيعة التاريخ الذي يتم البحث فيه وامتلاك الأدوات المناسبة له، فمثلا التاريخ المصري القديم يحتاج للمعرفة باللغة المصرية القديمة وكذلك الروماني واليوناني والعربي.

### والنقد الخارجي في المنهج الاستردادي ينقسم إلى قسمين:

\* نقد الاستعادة أو التصحيح (للتأكد أن الوثيقة كما تركها المصدر)

\* نقد المصدر نفسه وهل هو موثوق للأخذ منه.

### وأما النقد الباطني فهو النقد الحقيقي

لأنه يتوجه للتأكد من ضبط المصدر (الذي قد يكون شاهد عيان أو ناقل عن غيره) وأنه ضبط المعلومة في أثناء ثلاث مراحل مهمة وهي: تلقي أو معاينة الحدث.

ضبط الحدث بعد ذلك (أو حفظه).

ثم مرحلة أداءه أو كتابته للوثيقة.

### وينقسم النقد الباطني إلى قسمين:

\* نقد التفسير أو التدقيق في المعنى الذي أراده المصدر (تفسير الوثيقة تفسيراً صحيحاً).

\* النقد السلبي ويقصدون به التحري الدقيق لاستخراج أي أسباب خفية كالكذب أو الخطأ في الوثيقة، وهذا الجزء هو الأصعب لأنه يتطلب جمع للكثير من النقاط المعرفية والمقارنة بينها.

### وماذا عن منهج المحدثين؟

إذا قمنا بعرض أدبيات منهج المحدثين على أدبيات المنهج الاستردادي سنجد أن منهج المحدثين بالغ الدقة، لما يملكه من وثائق غزيرة، سواء روايات شفوية أو وثائق مكتوبة، ونستعرض سريعاً أدبيات منهج المحدثين.

### الوثائق

هي الروايات سواء كانت شفوية أو مكتوبة وهي كانت موجودة بغزارة في كل البقاع والأمصار الإسلامية.

### المصدر

هو الراوي أو سلسلة الرواة للرواية الواحدة.

### النقد الخارجي

### القسم الأول (نقد التصحيح)

عند المحدثين هو إثبات وجود الرواية من المصدر أو الراوي، وتتبع سلسلة الرواة والتأكد من اتصال الإسناد وعدم وجود انقطاع أو تدليس.

## القسم الثاني (نقد المصدر)

عند المحدثين هو التأكد من أن الراوي ثقة (عدالة الراوي) يؤخذ منه الرواية وأنه أخذ الرواية من شيخه بطريقة سليمة وهنا امتاز التراث الإسلامي بوجود كتب الجرح والتعديل والتي توفر قاعدة بيانات غزيرة عن جميع الرواة وتعددت هذه الكتب بشكل يسهل عليك البحث عن أي راوي بما يوفر معرفة المشهور منهم والمجهول وشيوخهم وتلاميذهم ويسهل عملية الحكم على المصدر

## النقد الباطني

### القسم الأول (نقد التفسير)

عند المحدثين التحقق من المعنى الذي أراده الراوي وهل روى الرواية مختصرة أو روى جزء منها وهكذا.

### القسم الثاني (النقد السلبي)

التأكد من أن الراوي لم يغير من الرواية شيئاً متعمداً أو بغير عمد، وعند المحدثين علم العلل الذي يقوم بجمع المرويات ومقارنتها، وساعد وجود مرويات كثيرة وطرق عديدة للمتنب الواحد -بسبب اهتمام المسلمين بتلقي علوم الوحي- فساعد هذا من عملية النقد الباطني للمتنب الواحد من خلال جمع طرقه ورواياته من أفواه رواة مختلفين وهذا جعل نتائج النقد للمتنب دقيقة ويمكن الوثوق بها.

وبهذا يتبين لنا أن مناهج النقد الحديثي التي سار عليها المحدثون لا تقل بل ونستطيع القول إنها تفوقت على المناهج الحديثة للنقد التاريخي وأن وجود قاعدة غزيرة من المرويات والوثائق ساعد على الحصول على نتائج دقيقة يمكن الوثوق بها فله الحمد والمئة على ما من به على هذه الأمة من وجود مثل هذه الجهود والتي زادت من ثقتنا في عملية نقل الدين إلينا.

وفي عصرنا الحديث تم العثور على صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه (والتي سماها البعض الصحيفة الصحيحة)

لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها ودونها همام عن أبي هريرة، فكانت جديدة باسم «الصحيفة الصحيحة» (وعثر على هذه الصحيفة الباحث المحقق الدكتور محمد حميد الله في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين )، وزادنا ثقة بما جاء فيها أنها برمتها ماثلة في " مسند أحمد " ( ( ٢ / ٣١٢ - ٣١٩ .

وكثيراً من أحاديثها مروى في " صحيح البخاري " في أبواب مختلفة) " صحيح البخاري " : ط. مصر سنة ١٣١٣ ج ١ ص ٣٤، ٣٩، ٥٦، ٦٤، ٩١، ج ٤ ص ٥٦، ٦٣، ٨٦ ومواضيع أخرى أيضاً. وتعداد هذه الصحيفة ١٣٨ حديثاً.

وتعد هذه الصحيفة مثلاً حياً على موثوقية نقد منهج المحدثين وكيف تتبعوا الأحاديث لمعرفة الصحيح منها من السقيم فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

## المبحث الرابع

هل فرق القرآن بين

موسى النبي وموسى الرسول؟

لو كان هناك فرق بين مقام النبي والرسول في نفس الشخص، لكانت هذه سنة من سنن الله عز وجل التي سرت في الرسل من قبل، فقال تعالى (قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بَكُمْ)

أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يختلف عن الرسل الذين سبقوه، وسنن الله لا تبدل ولا تحول كما قال تعالى في سورة فاطر (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)).

لهذا حين نستعرض ما ذكره القرآن عن الرسل قد نجد ما يؤيد أو ينقض هذا الادعاء، والقرآن بحر مليء بالكنوز يحتاج فقط من يغوص في أعماقه ليستكشف ما تحمله آياته، ولهذا أمرنا الله عز وجل بتدبر آياته، والتفكر فيما تحمله من عبر ومواعظ. وحتى لا نطيل، من أكثر الرسل ذكراً في كتاب الله نبي الله موسى فتجاوز ذكره المئة مرة - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء والرسل أجمعين- وموسى عليه السلام أيضاً ممن وصف بأنه كان رسولا نبيا كما قال تعالى في سورة مريم (وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١))، ولنستعرض في بعض النقاط قليلا مما ورد في قصته في القرآن الكريم.

\* رسالة نبي الله موسى عليه السلام أو الكتاب الذي نزل عليه هو التوراة، ولقد تكرر ذكر قوله تعالى (أتينا موسى الكتاب) لنحو عشر مرات أو تزيد مثل قوله تعالى في سورة الأنعام (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤))

\* والقرآن أيضاً بين أن موسى عليه السلام أخذ التوراة في ألواح من الله عز وجل كما قال تعالى في سورة الأعراف (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥))

\* وكذلك موعد أخذه للتوراة في ألواح مذكور في القرآن بشيء من التفصيل في سورة الأعراف كيف أن الله عز وجل نجى بني إسرائيل من فرعون وحين تركهم موسى ليذهب للقاء الله رجع ومعه الألواح التي أخذها من الله عز وجل وفيها كلام الله وأحكامه التي شرعها على بني إسرائيل فرجع ووجدهم يعبدون العجل فغضب غضبا شديداً جعله يلقي الألواح من يده ولما سكت عنه الغضب أمسك بالألواح مرة أخرى، ولنقرأ سوياً هذه الآيات من سورة الأعراف فقال تعالى:

(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ لِيُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١) ﴿٥﴾ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً

وَأَنمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۗ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۗ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۗ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمُرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۗ سَأْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۗ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ۗ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۗ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۗ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۗ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۗ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۗ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ۗ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) .

وبالمناسبة طريقة إنزال الكتاب في ألواح أو منجماً ومرفقاً هذه ليست من السنن المطردة ، فالقرآن لم ينزل في ألواح ، بل ونفى الله عز وجل أن القرآن نزل جملة واحدة كما قال في اعتراض الكفار على هذا الأمر في قوله تعالى في سورة الفرقان :

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۗ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)

\* نعود لنبي الله موسى قبل أن يأخذ عليه السلام الألواح من الله عز وجل ، كان (مرسلاً) من ربه، فقال تعالى في سورة غافر (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاجِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)

وهذا ما قاله أيضا في سورة هود (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۗ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)

وفي أثناء بقاءه في مصر كان يوحى إليه من الله عز وجل ، وهذا الوحي شمل:

\* تشريعات كالصلاة كما قال تعالى في سورة يونس (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكُمْ مِصْرَ بَيْتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧)

\* وأموراً فرقت بين الحق والباطل كاللقاء العصا أمام سحر السحرة كما قال تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨)

\* بل إن الوحي كان معه في أشد المواقف التي أخرج فيها بني إسرائيل من مصر وأهلك الله عز وجل فرعون فقال تعالى في سورة الشعراء ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِلُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَا هُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا ۚ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۚ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزَلْفُنَا تَمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٦٦)

ومن هذه الآيات التي قرآناها، هل يرى أي أحد أن الوحي محصور في كتاب الله الذي أنزله على موسى عليه السلام؟

بالطبع لا، فقد عاش سنوات عليه السلام يوحى إليه من ربه قبل أن يأخذ الألواح، منذ أن أرسله الله عز وجل إلى فرعون وقومه وحتى خرج من مصر.

إذن لماذا يريد البعض أن يحصر الوحي في القرآن، طالما أن من سنن الله عدم حصر الوحي في كتابه الذي ينزله لرسله وأنبياءه.

أم ترون أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بدعاً من الرسل!

أمر آخر طاعة موسى عليه السلام هل كانت أمر خاص بطاعة التوراة

أم أنهم كان عليهم طاعته قبل وبعد نزول التوراة؟

هل مثلاً فرعون كان عليه أن يطيع موسى ويستجيب له لأنه أعطاه التوراة وقرأ ما كان فيها؟

بالطبع لا، وفرعون ذهب له موسى وأخاه هارون بدون التوراة فقط كان معه الآيات من الله عز وجل فقال تعالى في سورة يونس ( ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ بآيَاتِنَا فَاَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ أَنْتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ۚ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)

وكذلك بنو إسرائيل كان عليهم طاعته قبل وبعد نزول التوراة، بل وأيضا كانوا  
مأمورين بطاعة هارون عليه السلام، وهارون كان نبياً ولم يذكر أنه كان رسولا فقال  
تعالى في سورة مريم (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣))

وقال تعالى في سورة طه (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونَ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ  
الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠))

فإن الله عز وجل جعل الطاعة لنبي الله هارون عليه السلام، ولم يأخذ الألواح ولم يكلم  
ربه كما كان يكلمه موسى عليه السلام، فكيف برسولنا صلى الله عليه وسلم وهو  
خاتم الأنبياء والمرسلين.

المبحث الخامس

مناقشة الادعاء

أن ما على الرسول إلا البلاغ

وانتقل المؤلف إلى فقرة جديدة بعنوان (ما على الرسول إلا البلاغ) وهو أراد أن يجعل الرسول له وظيفة واحدة وهي تبليغ القرآن الكريم، واستدل بقوله تعالى (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ)، (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ)، (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)، (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ).

والخلاصة من كلامه أنه يريد حصر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إبلاغ الرسالة، أو كما نقول الأمر أشبه بساعي يريد لديه رسالة يوصلها لأصحابها ويرحل، ولكن نتيجته التي خرج بها ليست صحيحة لعدة أسباب نذكر منها:

**أولاً: وظيفة الرسول كما وردت في كتاب الله تشمل أموراً أخرى غير بلاغ الرسالة** والمؤلف كعادته ينتقي من الآيات ما يدعم فكرته ويتجاهل ما قد يؤثر عليها وينقضها، فهو حين أراد هنا أن يخبرنا عن وظائف الرسول، أو هم القارئ أن القرآن لم يذكر إلا وظيفة واحدة للرسول، في حين أن هناك العديد من الوظائف الأخرى التي ذكرت بكل وضوح، منها قوله تعالى في سورة آل عمران (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)

ونفس الآية كررها في سورة الجمعة في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢)

والآيات كما نرى ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه:

- تلاوة الآيات (يتلوا عليهم آياته)
- تزكية المؤمنين وتطهيرهم من الشرك والخبائث والمعاصي (ويزكيهم)
- تعليم الكتاب وما كتب على الناس من فرائض وعبادات (يعلمهم الكتاب)
- تعليم الحكمة وإنزال الأمور في منازلها وتبيان ما يرضي الله وما لا يرضيه

وهذه الأمور بلا شك تزيد عن مجرد إبلاغ الرسالة فقط، ولهذا حتى نجد في بعض الآيات زاد وصفاً للبلاغ وهو قوله تعالى (المبين) كما قال تعالى في سورة النور (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)، ووصفه للبلاغ بأنه (مبين) أضاف للمعنى وجاء موافقا لقوله تعالى في سورة النحل (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) ، وقوله تعالى في سورة المائدة (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ<sup>٥</sup> وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩)

أي أن تبيان الرسول صلى الله عليه وسلم وشرحه وتعليمه للناس هذا أمر تكرر في أكثر من موضع من كتاب الله. ولكن لماذا أمر الرسول أن يبين للناس ما أنزل الله إليهم؟

هذا لأن الله عز وجل أنزل الحق للناس كما قال تعالى (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ) ، وهذا الحق جاء ليحكم بين الناس كما قال تعالى في سورة النساء (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا (١٠٥) والحق ليس له إلا وجه واحد وما عداه باطل ولهذا وصف الله عز وجل نفسه بأنه الحق كما قال تعالى (فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ طَفَانِي تُصْرَفُونَ (٣٢)

ولذلك ماذا سيحدث لو ترك لنا الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن نصا مقروءاً فقط، وفهمه كل شخص وفق ما يرى؟  
حتما سيحدث التنازع في الفهم وكل شخص سيدعي أن فهمه هو الفهم الصحيح لكلام الله عز وجل وأن الحق معه، فما العمل وقتها وكيف نتصرف عند التنازع؟

الجواب في قوله تعالى في سورة النساء والذي أخبرنا أن الحق يكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ) ولهذا أمرنا برد التنازع والاختلاف إليه فقال تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فسبحانه أمرنا برد النزاع لكلامه عز وجل ولأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم، وجعل هذا الرد عند التنازع شرطاً من شروط الإيمان بالله، والله عز وجل أقسم على أن الرضا بأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم شرطاً من شروط الإيمان به كما قال تعالى في سورة النساء (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)

**فكيف بعد هذا نرفض أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليمه التي نقلت لنا!**

**ثانياً: قوله تعالى (ما على الرسول إلا البلاغ) هذا ليس حصراً لمهمة الرسول، وإنما هو في إطار نفى أن عليه إقناع الناس بما يبلغ**

وهذا يتضح من السياق الذي تأتي فيه ، مثل قوله تعالى ( فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ط إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ) وقوله تعالى في سورة النور ( قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِلْتُمْ ط وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ط وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)

فانظر كيف بدأت الآية بالأمر بطاعة الله ورسوله، ثم وضحت أن من يتولى فليس على الرسول إجباره على هذه الطاعة، (وإنما عليه ما حمل) وهو حمل البلاغ (وما على الرسول إلا البلاغ)، وعلينا ما حملنا (وعليكم ما حملتم) ونحن حملنا الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم

ونفس الآية تكررت في سورة المائدة في قوله تعالى (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)

**ثالثاً: كيف يكون الرسول فقط مأمور بالبلاغ، والقرآن ملء بالآيات التي تأمرنا باتخاذها أسوة، واتباعه والتحذير من عصيانه ومخالفة أوامره**

ونذكر منها قوله تعالى:

- لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) الأحزاب
- قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) آل عمران
- وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِن عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) الشعراء
- فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) النور

فإذا كان الرسول مأمور بالبلاغ فقط، لماذا نتخذه أسوة وقدوة وأوجب الله علينا اتباعه وعدم عصيانه؟

**رابعاً: المؤلف ناقض نفسه وأبطل تفسيره الذي فسر فيه الرسول بالرسالة، وأن الخطاب بشخص الرسول هو خطاب له في مقام النبوة**

من الآيات التي أمرت الرسول بالبلاغ والتي استدلت بها المؤلف قوله تعالى (فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢)

وكما نرى الآية خاطبت الرسول صلى الله عليه وسلم بشخصه، ولكنه نسي أن الخطاب بشخص الرسول يكون له في مقام(النبوة) كما يدعي، وهو يرى مقام النبوة ليس مقاما لتبليغ الرسالة.

لذا هل لا يزال المؤلف عند رأيه، أم أنه مجبر على الاعتراف بفساد فكرته وبطلان ادعائه هذا؟

المبحث السادس

مناقشة الادعاء

أن الرسول صلى الله عليه وسلم

كان يحكم بالقرآن وحده

في البداية وقبل أن نستعرض كلام المؤلف أود أن ألفت انتباه القارئ لعدة أمور:

- أولها أن الحكم كله لله وهذا أمر لا ينازع فيه أحد، بل من المسلمات عند جميع المسلمين، ولكن كيف يخبرنا الله عز وجل بأحكامه؟  
الجواب كما أخبرنا في قوله تعالى في سورة الشورى (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ (٥١)).
- أي أن الرسول هو حلقة الوصل بيننا وبين الله عز وجل يخبرنا عن طريقه بأحكامه وتشريعاته، ولهذا قال تعالى في سورة النساء (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ...)، وبالتالي طاعة الرسول هذه من طاعة الله عز وجل وهذا ما جاء نصاً في قوله تعالى في سورة النساء أيضاً (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠))
- ثانياً وجوب اتباع حكم الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا أمر يختلف عن بماذا كان يحكم؟  
وهل كان يحكم بالقرآن فقط أم له وحي خارج القرآن؟  
أم له اجتهادات في الدين خارج الوحي وما شابه؟  
وهل هذه الاجتهادات مما أقره الوحي أم لا؟  
لأن وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، هذا أمر تكرر في عشرات المواضع من كتاب الله، بل ولم ينازع أو يجادل في حجية السنة قبل مئة عام تقريباً أي أحد من أهل الإسلام أو حتى من أهل البدع من خوارج ومعتزلة وفرق باطنية وغيرهم، فالجميع كانوا متفقين على حجية السنة وأن المسلمين عليهم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.
- والأمر الآخر وهو أن حكم الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان بالقرآن وورد في هذا الحكم نص في القرآن، فهو خير من حكم أي شخص آخر سواه، وفهمه صلى الله عليه وسلم للقرآن خير من فهم كل من عداه

**فكيف بالله نترك حكمه وفهمه ونرضى بفهم غيره صلى الله عليه وسلم؟**

ولعلنا لو ضربنا مثلاً تتضح الأمور، نحن لدينا دستور وقاضي يحكم بهذا الدستور:

- هل حكم القاضي غير ملزم للناس، أم ملزم وواجب اتباعه؟
- هل نترك حكم القاضي ونقول له لا حاجة لنا لحكمك فلدينا الدستور، أم وجب علينا اتباع ما حكم به القاضي؟
- هل فهمنا للدستور كفهم القاضي، وهو الذي يجتهد ليقف على جميع الأدلة ومعرفة ملابسات القضية وأفنى عمره في تطبيق هذا الدستور؟

إذا كان هذا الأمر مع قوانين البشر، فكيف بقانون رب السماء، وهو الذي أنزل كتاباً وأرسل رسولاً يكون هو المرجع والفيصل في فهم هذا الكتاب!

والحقيقة كما أخبرنا تعالى أن الإعراض عن رسوله لا يكون إلا بسبب اتباع هوى النفس وليس اتباعاً لهدى من الله كما قال تعالى (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)

الخلاصة وما أريد قوله مهما كانت النتيجة التي يريد المؤلف الوصول إليها، لن تغير من حقيقة هذه الأمور في شيء، ولكن تنزلاً للجدال سنناقش ما كتبه المؤلف في هذا الشأن.

المؤلف انتقل لفقرة بعنوان (الرسول كان يحكم بالقرآن وحده)، وقال فيها أن الحكم لله في أمور النزاع والاختلاف، وأن الحكم لله (في كتابه الذي نزل مفصلاً) ، واعتبر أن الرسول كما اقتبس من كلامه في الصفحة الستين (أن الرسول كان ينطق بالكتاب ويبلغه للناس، واستدل بقوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ، ثم قال أن الرسول في حكمه كان ينطق بالقرآن وحده، وأقر أن الإعراض عن حكم الرسول صلى الله عليه وسلم هو من مواقف المنافقين كما قال تعالى في سورة النساء (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) ، واعتبر أن قوله تعالى (إلى ما أنزل الله) تعني أنه لا يوجد مصدر آخر مع ما أنزل الله، ثم في كل غرابة اعتبر كلمة الرسول غير موجودة، وادعى أن الرسول ليس شيئاً منفصلاً عن كلام الله، وهذا كما يدعي لأن الله عز وجل قال في سورة النور (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ) فجاء الضمير الغائب مفرداً في قوله تعالى ليحكم وليس مثني، لذا اعتبر أن هذا دليل على أن من يحكم هو الله وحده والرسول ينطق بالحكم.

بعدها أكمل في سلسلة عجائبه، حيث قام بادعاء يفترى فيه على النبي صلى الله عليه وسلم مستنداً بقصة وردت في السيرة (وهو بنفسه أقر سابقاً أن السيرة بها الصادق والكاذب ولم يخبرنا بالطبع لم هذه القصة اعتبرها من الأخبار الصادقة) ، ونظراً لأنه لم يورد الدليل على صحة قصته، ولكنه ادعى أنها نزلت بسببها الآيات في سورة النساء في قوله تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ حَصِيماً (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ عَنِّي إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (١٠٩)

لذلك كلامه الذي قاله هو والعدم سواء، ولكني سأنقل ما قاله الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآيات لأنه ذكر في تفسيره أسباب النزول، ولكن الطبري نقل دليلاً على صحة قوله (وهو نقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه) يقول رحمه الله:

١٠٤١١ - حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحراني قال، حدثنا محمد بن سلمة قال، حدثنا محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن جده قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق: بشر وبشير، ومُبشّر، وكان بشير رجلاً منافقاً، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ينحله إلى بعض العرب، ثم يقول: " قال فلان كذا "، و " قال فلان كذا "، فإذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا الخبيث! فقال: أَوْ كَلَّمَا قَالَ الرَّجَالُ قَصِيدَةً أَضْمُوا وَقَالُوا: ابْنُ الْأَبِيرِقِ قَالَهَا! قال: وكانوا أهل بيت فاقية وحاجة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام بالدرمك، ابتاع الرجل منها فخص به نفسه. فأما العيال، فإنما طعامهم التمر والشعير. فقدمت ضافطة من الشام، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرّمك، فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح له: دِرْعَانٌ وسيفاهما وما يصلحهما. فعُدِي عليه من تحت الليل، فَنُقِبَت المشربة، وأُخِذَ الطعام والسلاح. فلما أصبح، أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، تعلم أنه قد عُدِي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا، فذهب بسلاحنا وطعامنا! قال: فتحسسنا في الدار، وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نراه إلا على بعض طعامكم.

= قال: وقد كان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل! = رجلاً منا له صلاح وإسلام. فلما سمع بذلك لبيد، اخترط سيفه ثم أتى بني أبيرق فقال: والله ليخالطنكم هذا السيف، أو نُثْبِنَنَّ هذه السرقة. قالوا: إليك عنا أيها الرجل، فوالله ما أنت بصاحبها! فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له!

= قال قتادة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقلت: يا رسول الله، إن أهل بيت منا أهل جفاء، عمّدوا إلى عمي رفاعة فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردّوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنظر في ذلك. فلما سمع بذلك بنو أبيرق، أتوا رجلاً منهم يقال له: " أسير بن عروة "، فكلّموه في ذلك. واجتمع إليه ناس من أهل الدار، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمّدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبّت.

= قال قتادة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمته، فقال: عمّدت إلى أهل بيت دُكِرَ منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثبّت!! قال: فرجعت

ولوددتُ أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك. فأتيت عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: الله المستعان!

= فلم نلبث أن نزل القرآن: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ، يعني: بني أبيرق=" واستغفر الله "، أي: مما قلت لقتادة= إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ، أي: بني أبيرق= إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا \* يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ إِلَى قَوْلِهِ: ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَدِ اللَّهِ غَفُورًا رَحِيمًا ، أي: إنهم إن يستغفروا الله يغفر لهم= وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ، قولهم للبيد= وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ ، يعني: أسيرًا وأصحابه= وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ إِلَى قَوْلِهِ: فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .

فلما نزل القرآن، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فردّه إلى رفاعة. = قال قتادة: فلما أتيت عمي بالسلاح، وكان شيخًا قد عسا في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولا فلما أتيت به بالسلاح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله. قال: فعرفت أن إسلامه كان صحيحًا. فلما نزل القرآن، لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة ابنة سعد بن شهيد فأنزل الله فيه: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قَوْلِهِ: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا. فلما نزل على سلافة، رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر فأخذت رحله فوضعت على رأسها، ثم خرجت فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت إليّ شعر حسان! ما كنت تأتيني بخير!

١٠٤١٢- وقال الإمام الطبري أيضا: حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، يقول: بما أنزل الله عليك وبين لك وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا، فقرأ إلى قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا. ذكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت في شأن طعمة بن أبيرق، وفيما هم به نبي الله صلى الله عليه وسلم من عذره، وبين الله شأن طعمة بن أبيرق، ووعظ نبيه وحذره أن يكون للخائنين خصيمًا.

وكان طعمة بن أبيرق رجلا من الأنصار، ثم أحد بني ظفر، سرق درعا لعمه كانت وديعة عنده، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم، يقال له: " زيد بن السمين ". فجاء اليهودي إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم يُهِنِف، فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر، جاؤوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم قد همّ بعذره، حتى أنزل الله في شأنه ما أنزل، فقال: وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ: هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يعني بذلك قومه= وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا

مُبيِّناً ، وكان طعنة قَذَفَ بها بريئاً. فلما بيَّن الله شأن طعنة، نافق ولحق بالمشركين بمكة، فأنزل الله في شأنه:

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

ونعود إلى كلام المؤلف وادعاءاته التي حملت الكثير من الأخطاء الفكرية ونذكر منها:

**أولاً: التفسير المنحاز لكتاب الله والذي جعله يهمل كلمة لها دلالة ومعنى مستقل وهي (الرسول)**

كعادته يستمر في هذا التفسير المنحاز في محاولة منه لجعل الآيات توافق فكرته لا إشكال عنده أن يجعل الله وكتابه شيئاً واحداً، والله والرسول شيئاً واحداً، في حين أن الحقيقة أنها تهدم فكرته بالكلية.

**فكلمة الرسول كما تناولنا في مباحث سابقة لها دلالة مستقلة، والله عز وجل لا يمكن أن ينزل كلاماً عبثاً دون أن يحمل دلالة، والدلالة تكون أول ما تكون في ظاهر النص ومتسقة مع السياق، فهكذا يفهم الكلام.**

أما التفسيرات والتأويلات الباطنية والتغافل عن المعاني الظاهرية هذه من أضعف الدلالات وتحتاج أن يدعمها السياق ونصوص أخرى حتى يعمل بالتأويل وترك ظاهر النص

**ثانياً: التناقض الواضح في كلامه حيث أقر بأن عدم الاحتكام للرسول من علامات المنافقين، ثم هو بنفسه يدعونا لعدم الاحتكام للرسول والاكْتفاء بالقرآن، بل وكتابه من أوله لآخره ألفه ليدعو به لذلك**

وهذا ليس التناقض الوحيد في كلامه، بل جاء في كلامه تناقضات أخرى نذكر منها تكرار استدلاله بالضمير المنفرد الذي يعني أنه يعود على شيء واحد في حين أنه سابقاً جعل الضمير المنفرد يعود على شيئين واعتبر هذا من (البلاغة القرآنية) وذلك حين أراد تفسير قوله تعالى (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) فجعل الضمير في وحده فيها يعود على الله وكتابه معاً!

وسبحان من يجري الحق على لسان من يريد إخفاءه

فهو بنفسه أقر أن الإعراض عن الرسول صلى الله عليه وسلم من علامات المنافقين، ولكنه لم يبصر أنه يدعو لهذا الإعراض، والله عز وجل حذر من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوعد من يحادد الله ورسوله بالعذاب العظيم كما قال تعالى في سورة

التوبة (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ۗ ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣)

سبحانه لم يرسل رسله إلا ليطاعوا كما قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)، بل ومحاولة التفريق بين الله ورسوله في الطاعة فيجعل الطاعة لله ثم يعطلها عند رسول الله هذه من العبث بآيات الله، وفي حقيقتها إيمان بجزء من الآية وكفر بجزء منها، والله عز وجل ذم في بني إسرائيل هذا الفعل وتوعدهم بسببه بالعقاب الأليم كما قال تعالى في سورة البقرة (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۗ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)

### ثالثا: الاستدلال بما أنكره وأبطله بنفسه

في محاولة منه لإثبات ادعاءاته قام بسرد قصة وردت في التراث الإسلامي، في حين انه سابقاً قال أن التراث والسيرة بهما من القصص الصادق والكاذب، وتجاهل جهود المحدثين في نقد الأحاديث والمرويات، والتفتيش في صحتها وشروط الصحة التي كانوا يتتبعونها.

واعتبر أنه لا يمكن الاعتماد على الروايات والأحاديث، إذن فلم هو يستدل بها ويعتمد عليها؟

لماذا هذه الرواية بالتحديد اعتبرها صحيحة وليست مكذوبة أو بها ضعف؟

لا جواب لدينا إلا أن هذا من التناقضات التي اعتاد القيام بها، وهي ليست إلا اتباعاً للهوى، ونعوذ بالله من اتباع الهوى.

## المبحث السابع

### مناقشة الادعاء

أن طاعة الرسول هي طاعة القرآن

ثم انتقل المؤلف لفقرة جديدة وضع لها عنواناً (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)، وتساءل سؤالاً بشأن قوله تعالى (ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فقال هل الطاعة لواحد، أم لاثنين، أم لثلاثة!

فهو يستنكر أن تكون الطاعة لغير الله عز وجل، منكرًا نصاً صريحاً في الآية واعتبره غير موجود.

ثم أعقب ذلك بكلام عجيب مريب، يحمل في طياته تقليلاً من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يقول كما اقتبس من كلامه في صفحته الرابعة والستين حيث قال (والقاعدة الشرعية المأخوذة من القرآن أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)

وودت حقيقة لو أنه أورد لنا النص الشرعي الذي أخذنا منه هذه القاعدة، لأنها في الحقيقة مأخوذة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي هو ينكرها ولو أنه سكت ولم يضيف جملة (مأخوذة من القرآن) لكان في موقف أفضل ولكنه أبى إلا أن يبين لنا بنفسه أنه يأخذ من السنة ما يوافق هواه ويدعم فكرته فقط وينكر ما لا يعجبه ولا يلتزم بمنهج أو معيار صحيح للقبول أو الرد.

ونقف هنا قليلاً قبل أن نكمل استعراض باقي كلامه لنبين ما وقع فيه من مغالطات في هذه الفقرة

### في البداية وضع القيد على ما أطلقه الله عز وجل، وفي هذا إضافة للنص بدون وجود دليل يستوجب هذه الإضافة

فالآية على إطلاقها أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، ولا نجد ما يقيد طاعة الرسول في القرآن الذي يتلوه فقط كما يدعي المؤلف، هو وكل من ينكر سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن حين نتعامل مع نصوص الوحي نتعامل بحذر لدقة حروفه ومعانيه، فكل شيء نقول أنه هو المراد علينا أن نأتي عليه بدليل كما قال تعالى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

وهذا كلام الله عز وجل وأشد الكذب هو الكذب على الله ورسوله، فيضاف للوحي ما ليس فيه أو يمنع الناس من الوصول لوحي ربهم وتشريعاته، ويفوتهم ما أمرهم به وما نهاهم عنه، و قال تعالى في سورة هود (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) ، وقال تعالى في سورة الأنعام (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ)

## ثانياً فرض من نفسه تعارضاً ليس له وجود

فمن قال أن طاعة الرسول أو حتى طاعة ولي الأمر تعارض طاعة الله عز وجل؟ بل إنه نفسه قال (لا طاعة في معصية الخالق) فماذا لو كانت الطاعة ليست في معصية الخالق، ما الذي يمنع منها؟

لنضرب مثالا لتقريب الصورة- والله المثل الأعلى -ولكن حتى يتضح الأمر أكثر:  
لو أن أباً أوصى أبناءه الذين أحسن تعليمهم، حين أراد أن يسافر مثلاً فأوصاهم أن يطيعوا أخاهم الكبير وأن يجتمعوا تحت كلمته لأنه أعلمهم بكثير من الأمور، وأعطاه حق التصرف في الأموال التي تركها لهم مثلاً.

المهم طاعة الأبناء لهذا الأخ هل تعارضت مع طاعة الأب؟

ولو تركوا طاعة الأخ هل هكذا أطاعوا أباؤهم أم عصوه؟؟؟

هذا الأمر كنوع من التقريب لكلام المؤلف والله المثل الأعلى، فالله عز وجل حين يرسل لنا رسولاً ويوحى للرسول ويقول لنا (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)، ثم نقول له كيف نطيع الرسول!

وهل نحن مأمورون بطاعة واحدة أم اثنتين؟

وغيرها من الفلسفات التي تعارض قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ).

وجب علينا حين نسمع أمراً واضحاً صريحاً من الله عز وجل أن نقول سمعنا وأطعنا دون خوض في جدال ونقاش وفلسفة كما قال تعالى (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)

ولكن سبحان الله أبى أكثر الناس إلا أن يكونوا ممن قال فيهم الله عز وجل (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤).

لماذا كثرة الجدل في أمر واضح وصريح، وتكرر عشرات المرات وبصيغ مختلفة بل وتكرر التحذير من مخالفته والحيد عنه؟

سبحان الله حقاً (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ، وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

## أمر آخر وهو التناقض وفقدان المنهجية والمعيارية في كلامه

فهو أورد لنا قاعدة شرعية وادعى أنها (مأخوذة من القرآن)، ولم يحضر لنا دليلاً على ادعاءه.

ربما لأنه تفاجأ أن هذه القاعدة تأسست بشكل رئيسي على نص صريح في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يروي علي بن أبي طالب رضي الله عنه (أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ لِلآخَرِينَ: لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ ) والحديث أخرجه الإمام البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد

لذا المؤلف استدل بشكل رئيسي بما ينكر من أحاديث، ولكنه نسب هذه القاعدة للقرآن في محاولة منه للخروج من المأزق الذي هو فيه، حتى لا يظهر أمام القارئ أنه يستدل بما ينكر.

## ولعل من أسوأ ما في كلامه هو التلميح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يعصى الله عز وجل

ورسول الله صلى الله عليه وسلم وعده ربه بالأجر العظيم في سورة (ن) فقال تعالى (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣))

وبعدها مباشرة زكاه في خلقه فقال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤))

وأقسم على أنه (ما ضل وما غوى ، وما ينطق عن الهوى) فقال تعالى في سورة النجم (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤))

ولماذا إذن أمرنا الله عز وجل أن نتخذة أسوة وقدوة كما قال تعالى في سورة الأحزاب (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا(٢١)؟

فهل يعتقد أي أحد أن الله عز وجل أمرنا أن نقتدى بمن يعصيه؟!!

## ما هذه الفرية وما هذا الاتهام العظيم!

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، فليحضر لنا أي شخص دليلاً على كلامه، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الظنون لا تكون أبداً تليق به ولا تليق بالإيمان به. ولعلنا نتعظ من موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلح الحديبية والحديث عن صلح الحديبية في صحيح البخاري أورده مطولاً وذكر فيه موقف عمر رضي الله عنه حيث قال الإمام البخاري كما جاء في رواية البراء بن عازب (فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتُ تُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتِ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبِرْتِكَ أَنَا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغُرْزِهِ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتِ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبِرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ. قَالَ الرَّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا.

ويقصد أن عمر رضي الله عنه عمل أعمالاً صالحة لعل الله يكفر بها عنه موقفه هذا حيث راجع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والشاهد هنا رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر (إني رسول الله ولست أعصيه) ونحن نؤمن بهذا ولا نشك فيه ونلزم غرزه كما نصح الصديق رضي الله عنه بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونسأل الله أن يتوفانا على ذلك.

ثم أراد المؤلف أن يدعم كلامه فاستشهد بقوله تعالى في سورة الممتحنة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ لَّا قَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرَ لهنَّ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢))، وقال أن الطاعة مقيدة بالمعروف!!

## ونحن نقول له وهل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أحداً بغير معروف؟

سيرته صلى الله عليه وسلم محفوظة ولدينا عشرات الكتب التي نقلت ما صح عنه ، فليحضر لنا أين أمر بشيء غير معروف؟

هذا لم يكن أبداً وليس موجوداً في أي كتاب من الكتب المعتبرة عند أهل العلم

لو قرأنا القرآن بنفس طريقة المؤلف سيخرج لنا من يقول أن القرآن أباح الزنا، ويستشهد بقوله تعالى (وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) فيقول يفهم من الآية أن الفتاة لو أرادت الزنا دون إكراه فلا حرج!!

وهذا فهم خاطئ تماماً، وجهل بأساليب العرب في الكلام.

### فهناك ما يخرج من الكلام مخرج الغالب

أي أن غالب أمر المكروهة على البغاء أنها تريد الإحصان، ولكن الزنا محرم على كل وجه سواء للمكروهة أو من تذهب بإرادتها وهذا لقوله تعالى في سورة الإسراء (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَاهُ إِنَّهُ كَانَ فَاجِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)

ونفس الأمر مع ( ولا يعصينك في معروف) لأن غالب ما يأمر به صلى الله عليه وسلم هو المعروف وهذا ما قاله تعالى في سورة الأعراف (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)

أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أصلاً مهمته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو لم يعرف عنه أبداً أنه أمر أحداً بأي منكر وهل يتركه ربه يأمر بالمنكر دون أن ينزل الوحي ليصح له؟

المبحث الثامن

مناقشة الادعاء

أن الاتباع للقرآن ولا اتباع للرسول

صلى الله عليه وسلم

ثم انتقل المؤلف لفقرة جديدة بعنوان (واتبعوا النور الذي أنزل معه) ، قال تحتها مباشرة كما أقتبس من كلامه في نهاية صفحته الخامسة والستين (الإيمان ليس بشخص محمد عليه السلام ، وإنما الإيمان بما نزل على محمد ، وقال بعدها ونحن لا نتبع محمداً عليه السلام كشخص وإنما نتبع النور الذي أنزل معه ويقصد القرآن فقط واستدل بقوله تعالى (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)

ثم أقر المؤلف في صفحته التالية أن الرسول صلى الله عليه وسلم (هو أول الناس تمسكاً للوحي واتباعاً للهدى)!!

وكما نرى هذا تفسير منحاز لكتاب الله، ارتكب فيه المؤلف العديد من الأخطاء ولهذا فهو لا يصح ولا يصل بنا إلى المراد من الآيات ونذكر من هذه الأخطاء:

#### أولاً: استقطاع الآية وفصلها عن السياق

المؤلف استدل بجزء من آية وهو قوله تعالى في سورة الأعراف (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)

#### لو أحضر لنا الآية كاملة ستهدم ادعائه تماماً

لأن الآية بدأت بالأمر (باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم) بل والآية التي تليها مباشرة تأمر (بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم) أي ببساطة استدل بما يهدم فكرته!

فقال تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)

ولعل استقطاع الآية من سياقها هو أوضح دليل على فساد التفسير وكما نرى كيف هدمت الآيات ادعائه بالكلية لأنها أمرت باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان به مع وصفه بالرسول والنبى ولم تترك مجالاً لأحد ليدعي تفريقاً بين مقام الرسالة والنبوة كما كانوا يحتجون بهذا التفريق من قبل.

## ثانياً ترك آيات محكمات واضحات الدلالة تأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم

مثل قوله تعالى في سورة آل عمران (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)

## وآيات تدعو لاتباعه وعدم عصيانه

مثل قوله تعالى في سورة الشعراء (وَإخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)  
فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦)

## وآيات تأمر باتخاذ أسوة نقتدي به

مثل قوله تعالى في سورة الأحزاب (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

## وآيات تحذر من مخالفة أوامره صلى الله عليه وسلم

مثل قوله تعالى في سورة النور (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

## وبعد كل هذه الآيات كيف نقول أننا لن نتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الاتباع للقرآن فقط!!

هذا هو عين السقوط في الفتنة كما أخبرنا تعالى، ولا يتبقى إلا أن يكون الجزاء هو العذاب الأليم عياداً بالله، ونعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسأله سبحانه أن يردنا إليه غير مفتونين.

## أمر أخير وهو سؤال أوجهه لكل من ينكر سنته صلى الله عليه وسلم ، ماذا رأيتم منه سيئاً ولهذا ترفضون اتباعه؟

وهو في الجاهلية وقبل أن ينزل عليه الوحي كان لقبه الصادق الأمين وهذا لما عهده الناس عنه من الصدق والأمانة ، ولم يخن عهداً ولم يعرف عنه كذبة واحدة طوال حياته ، ولم يقابل الإساءة إلا بالإحسان بل و بلغ الذروة في مكارم الأخلاق ، فبالله عليكم هل مثله صلى الله عليه وسلم يترك اتباعه؟

## ومن سنتبع إذن؟

كل شخص سواه لن يبلغ ما بلغه صلى الله عليه وسلم.  
وكل فهم لكتاب الله لن يبلغ أبداً فهمه صلى الله عليه وسلم  
بل والجميع يقر أنه كان أول من طبق كتاب الله فلماذا نترك اتباع من طبق كتاب الله  
إذن؟

هذا والله التناقض بعينه نقول لا نتبع إلا كتاب الله ثم حين نرى من يطبق كتاب الله نقول  
لا نتبعه نحن سنتبع فهمنا الخاص!

لنكن صادقين مع أنفسنا قليلاً هذا اتباع للهوى وما تشتهيهِ الأنفس وليس اتباعاً لكتاب  
الله أبداً، ولهذا قال تعالى (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ  
مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) القصص.

المبحث التاسع

مناقشة الادعاء

أن ليس للنبي أن يجتهد في التشريع

ثم انتقل المؤلف لفقرة جديدة بعنوان رئيسي وهو (هل للنبي أن يجتهد في التشريع)، انتقل منه لعنوان فرعي وهو (ليس للنبي أن يجتهد في التشريع أو ان يعلم الغيب)، وهو يريد باختصار ان يجعل مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم (البلاغ)، ويترك الناس ليديروا القرآن، واستدل على ادعائه بأن القرآن مليء بالآيات التي تجيب عن تساؤلات الناس والتي بدأت بقوله تعالى (يسألونك) أو (يستفتونك).

وما أسوأ ما يدعو إليه المؤلف، فهو أعطى لكل الناس الحق في شيء منعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم!!!

لا أعلم كيف أجاز لنفسه أن يرفع فهمه وفهم كل من هب ودب فوق فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟؟

وفي الحقيقة هذا محض افتراء وادعاء غير منطقي وأول ما يناقض فهو يناقض الواقع، وهذا لعدة أسباب:

### أولاً: القرآن كما يعرف الجميع معدود الآيات ولم يفصل جميع الأحكام في آياته

آيات القرآن لا يتعدى عددها البضعة آلاف، بل وليست جميعها آيات أحكام فمنها آيات للقصص القرآني ومنها ما يخص النذير والوعيد ووصف للحساب والجنة والنار وما يكون من مواقف ستحدث يوم القيامة إن شاء الله، وهذه الآيات بلا شك لم تشمل جميع الأحكام الشرعية بالتفصيل، فكيف سيعرف الناس من خلال تدبرهم للقرآن تفاصيل الأحكام كما ادعى المؤلف إذا لم تكن موجودة فيه من الأساس؟

وهذا الأمر يكذب قول الله عز وجل في مطلع سورة هود (الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١))، فالله عز وجل أخبرنا أن الآيات (فصلت) فأين تفاصيل الصلاة التي أمرنا الله بإقامتها في أكثر من موضع من كتاب الله؟

بل وينافي اكتمال الدين الذي أخبرنا به الله عز وجل في سورة المائدة في قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) فكيف يكون الدين مكتملاً ولا نعرف تفاصيل أمر مهم كالصلاة، أو الزكاة، أو الحج، أو العمرة؟

نحن حتى لا نعرف ما الفرق بين الحج والعمرة من القرآن فقط، في حين أن الله عز وجل أمرنا بالحج والعمرة كما قال تعالى في سورة البقرة (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)، فهل وجد أحدكم تعريفاً للحج والعمرة في كتاب الله، وما الفرق بينهما، وكيف تؤدي العمرة التي أمرنا الله عز وجل بها؟

هذا سؤال بسيط لن تجد له جواباً أبداً في كتاب الله، ولكن هل يعقل أن يأمرنا الله عز وجل بشيء لا نعرف كيف نطبقه؟

حاشاه سبحانه وقال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فكيف نقول أمرنا بما لا نعرف كيفية تطبيقه، وكيف يكون الدين مكتملاً ولا نعرف كيف نطيع الله في أوامره ونواهيه؟ والصلاة مثلاً يفرد لها العديد والعديد من الصفحات لبيان أهميتها وخطورة تركها، لأنها تعد من أبرز شعائر الدين الإسلامي كما قال تعالى (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١))، ومع ذلك أغلب تفاصيل الصلاة لم نأخذها من القرآن وإنما من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليمه لأمته، - وبالمناسبة المؤلف أيضاً يقر أن الأمة لم تأخذ تعاليم الصلاة من القرآن - فكيف نقول أن القرآن به تفاصيل كافة الأحكام؟

من يدعي هذا الادعاء عليه أن يثبته ، وهذا ليس انتقاصاً من القرآن ولكن كما أخذنا القرآن من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذنا تعاليم الأحكام والتكاليف منه أيضاً ، ونسأل الله ألا نترك تعاليمه لتعاليم وفهم من سواه أبداً يارب العالمين

**ثانياً: ما الدليل أن كل الأسئلة التي كانت تسأل للنبي كان ينتظر الإجابة في آية تنزل من القرآن**

وهل يعقل أن الناس طوال سنوات البعثة لم يسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أو يستفتونه إلا هذه الأسئلة المعدودة التي وردت في كتاب الله؟

هل ذكر في القرآن أنه لا يوجد أسئلة أخرى وردت لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وماذا عن الوفود التي كانت تأتيه لدخول في الإسلام، ألم يسألونه ليتعلموا منه؟

هل حقا القرآن نزل ليجيب كل شخص وكل استفسار؟

أم هناك مجال للرسول صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس دينهم وما ينفعهم وما يضرهم؟

**ثالثاً: ما الذي يمنع الرسول من الاجتهاد، أليس له عقل وفهم؟**

فلو تنزلنا للجدال وقلنا أن الجميع مأمور بتدبر القرآن، أليس هو مشمول بهذه الآيات التي تأمر بتدبر القرآن؟

ما الذي يمنعه من تدبر القرآن، هل هناك نص يأمره صلى الله عليه وسلم بعدم تدبر القرآن كبقية المؤمنين؟

لا يوجد، ولكن في نفس الوقت نجد العديد من الآيات تقول أنه مأمور بتعليم الناس الكتاب والحكمة، ومن يريد أن يعلم أحداً شيئاً بالتأكيد سيكون له شرح وتوضيح خاص به.

وهو أولى الناس بتدبر القرآن لأنه نزل بلغته ولغة قومه، وخرج من فمه الشريف والوحي ينتزل عليه ولو اجتهد بأمر وجانب الصواب فالوحي لن يتركه ليضل الناس عن سبيل الله، بل هو أولى بأن يصحح له الوحي ويريه الصواب والخطأ في المسألة، والله عز وجل عاتبه في عبوسه في وجه أعمى لم ير هذا العبوس، أفلا يعاتبه فيما هو أجل!!!

## وأما عن الأمر بتدبر القرآن

### الأمر بتدبر القرآن يختلف عن استخراج واستنباط الأحكام

#### فتدبر القرآن له فوائد عظيمة منها:

\* زيادة الإيمان بأنه نزل من عند الله، فالقرآن هو المعجزة الخالدة، أعظم دلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في سورة العنكبوت (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)

وهذا من الأسباب التي ذكرت صراحة عند الأمر بتدبر القرآن، فتدبر القرآن لمعرفة أن الإسلام هو الدين الحق الذي جاء من عند الله، وهذا في قوله تعالى (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)

\* أيضا تدبر القرآن يؤدي لزيادة اليقين وثبات المؤمن على دينه أمام الفتن والشبهات، فمن جمال وعظمة القرآن أن به عرضاً لكثير من شبهات المبطلين والمشككين في الله عز وجل، وبيان مواطن فسادها كما قال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)

وهذه الآيات من سورة الفرقان ومن يتدبر هذه السورة سيجد كيف عرضت العديد والعديد من أقوال وحجج الكافرين وقامت بالرد عليهم فكانت بحق فرقاناً بين الحق والباطل.

\* وكذلك نتدبر القرآن لناخذ الموعظة من قصص الأنبياء والمرسلين وكيف صبروا على كفر أقوامهم وكيف كان عاقبة الظالمين والكافرين والسعيد من وعظ بغيره.

قال تعالى في سورة هود (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ۚ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وقال أيضا في سورة يوسف (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

\*ومن فوائد تدبر القرآن تليين القلوب وزيادة القرب من الله عز وجل.

فالقلوب تقسو بالبعد عن الله وعلاجها في قراءة القرآن والإكثار من الذكر كما قال تعالى في سورة الزمر (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ (٢٣)

ولهذا حين أمرنا عز وجل بتدبر القرآن، أخبرنا أن من لا يتدبر القرآن قلبه مغلق عياداً بالله أمام ذكر الله تعالى فقال تعالى في سورة محمد (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)

فالقرآن به عرض لمشاهد وأحوال من يوم القيامة ووصف للجنة ودرجاتها، بما يحفز المتقين ويبشرهم بما ينتظرهم فيها من نعيم مقيم، ويعرض أوصاف للنار ودرجاتها وما ينتظر المجرمين والظالمين فيها من عذاب أليم.

ومشاهد لاجتماع المشركين وشركاءهم وكيف يتبرأون منهم ومن اتباعهم.

ومشاهد للحسرة والندامة التي يظهرها الكافرون حين يعلمون مصيرهم المحتوم جزاءً لما كذبوا به من حساب بين يدي العزيز العليم، وغيرها من الآيات التي تجعل الحجر يلين.

ولهذا قال تعالى في سورة الحشر (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)

ولهذا فالجميع مأمورون بتدبر القرآن، وعلى المسلم أن يكون له ورد يومي من تدبر آيات الله والتعرف على معانيه، ومن يقبل على القرآن وينهل منه سيجد فيه الهدى والنور والشفاء لما في الصدور.

### ولكن هل الجميع مأمور باستخراج الأحكام واستنباطها من الآيات؟

الجواب في قوله تعالى في سورة النساء (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣) ففي الآية الكريمة أخبرنا الله عز وجل أن الاستنباط أمر خاص ببعض الناس وليس بالجميع (وبين أن أول ما يرد له هو الرسول صلى الله عليه وسلم)

وهذا ما أكدته قوله تعالى (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ)

والفقه والاستنباط له أهله كما قال تعالى في سورة التوبة (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)

فالتفقه في الدين أمر خاص (بفرقة) أو مجموعة من الناس لماذا؟

لأن الاستنباط والفهم يتطلب امتلاك أدوات خاصة، فمثلا كتاب الله به المحكم والمتشابه من الآيات ويتكرر العديد من الآيات في العديد من المواضع ونحتاج لمعرفة جميع هذه المواضع والسياق الذي ذكرت فيه، بل وحتى الآيات التي أتت في سياق مشابه حتى نستطيع أن نفهم المراد من الآية على نحو صحيح ، فهل هذا أمر في مقدور الجميع أم يحتاج لتفرغ ومجهود في جمع الآيات وقراءة في معاجم اللغة والتفاسير وغيرها حتى نقف على المعنى المراد؟

خلاصة الكلام أن الجميع مأمور بتدبر القرآن لزيادة الإيمان، ولكن ليس الجميع مأمور باستخراج الأحكام وإنما هذا أمر يحتاج لامتلاك أدوات خاصة ومعرفة بكتاب الله وإحاطة بجميع آياته قبل ان تخوض في استخراج الاحكام منه، وهذا حتى لا نقع في الفتنة أو نسقط في المتشابهات.

## المبحث العاشر

كلام الرسول صلى الله عليه وسلم

عن الغيب وعلامات الساعة

المؤلف انتقد أن بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت غيبيات كأشراط الساعة ومشاهد ليوم القيامة وغيرها محتجا بأنه لا يعلم الغيب إلا الله.

### ولكن هل ذكرت الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب؟

لا بل نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يعلم الغيب في أكثر من واقعة فأخرج الإمام البخاري في صحيحه أنه حين حضر عرس الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية رضي الله عنها، كان هناك جويزات يضربن بالدف، وقالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا هكذا، ونهاها عن قولها هذا، والحديث ذكره الإمام البخاري في صحيحه (٤٠٠١).

وحين فقدت ناقه النبي صلى الله عليه وسلم وقال أحد المنافقين يزعم محمد أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم إني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها" فذهبوا، فجاؤا بها، والحديث أخرجه ابن إسحاق في "المغازي" كما في "سيرة ابن هشام" (٢/ ٥٢٣)

### وكيف إذن الكثير من الأحاديث ذكرت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بأمور غيبية؟

ببساطة لأن هذه الغيبيات مما أخبرها به الله عز وجل كما قال تعالى في سورة الجن (عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨))، و النبي صلى الله عليه وسلم كان يخبر بأمور غيبية كثيرة جدا، ثم تقع كما أخبر بصورة متطابقة، وهذا الصدق في الإخبار عن الغيوب خارج عن مقدور الجن والإنس معاً، ولا يستطيع أحد منهم أن يخبر بذلك الكم من الأخبار الغيبية ثم تكون كلها صادقة لا ينخرم منها خبر واحد.

### أي أن إخباره بهذه الغيبيات من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من عند الله

فالإكثار من الإخبار عن الغيبيات بالفاظ جازمة وصريحة لا يفعله إلا من يثق في كلامه وخبره، ولا يساوره أدنى شك في أنه سيقع، وأما الكاذب فإنه لا يقدم على ذلك، ولا يجرؤ على الإكثار من الأخبار المستقبلية بلغة جازمة وصريحة، وإخباره صلى

الله عليه وسلم بالغيبيات وتحققها كما أخبر لم يقع مرة، أو مرتين، أو ثلاثاً، أو خمساً، فإنه لو كان كذلك لربما صح أن يُقال إن ذلك حصل اتفاقاً أو بمعاونة من أحدٍ أو من الجن كما يفعل السحرة والكهنة، وإنما بحين يقدم على الإخبار بأمر كثيرة، وفي مجالات مختلفة، ثم وقعت كما أخبر من غير أن يخلق منها شيء، فهذا يؤكد أنه أخبرها بها من يعلم الغيب وحده وهو الله عز وجل.

ومن تلك الغيوب: إخباره صلى الله عليه وسلم في ليلة من الليالي عن أن ريحاً شديدةً ستهب، وأمر كل الناس بعدم القيام، فقام رجلٌ فحملته الريح، وألقته في مكان بعيد عن مكانه، والحديث أخرجه البخاري (١٤٨١)

وكذلك أيضاً: إخباره عن مصارع كفار قريش في يوم بدرٍ قبل نشوب المعركة. وتعيينه لمكان موت كل واحدٍ منهم، ووقع الأمر كما أخبر.

وكذلك إخباره بأن ابنته فاطمة أول من يلحق به، ويموت من أهل بيته بعد موته، ووقع الأمر كما أخبر.

كل هذا وفي نفس الوقت يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يعجز عن معرفة حقيقة ما يدور بين الخصوم الذين يختصمون إليه، وقال "إنما أنا بشرٌ، وإنه يأتيني الخصم، فلعن بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلمٍ، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها، والحديث أخرجه الشيخان البخاري (٢٤٥٨) ومسلم (١٧١٣).

فكما ترى من كان حاله كذلك، كيف يقدم على الإخبار بتلك الغيبيات الكثيرة الواسعة بلغة جازمة وصريحة ولو كان إخباره عن الغيبيات مأخوذاً عن الجن أو غيرهم، لماذا لم يستعن بهم في معرفة حال الخصوم الذين يتحاكمون إليه، بل كان يصرح أمام الملا بأنه لا يعلم حالهم؟؟؟

هذا يدل على أنه لا يخبر إلا بما يوحي إليه من ربه عز وجل كما قال تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤))

## أمر أخير هل الحديث عن علامات الساعة خالف كتاب الله عز وجل؟

منتهى علم الساعة عند الله عز وجل وحده لا يعلمها لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل وهذا ما أكد عليه قوله تعالى في سورة الأعراف (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفْتِهَا إِلَّا هُوَ نَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)

وهذا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام حين سألته عن الساعة فقال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، والحديث أخرجه ابن ماجه (٦٣)، ومسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥).

والله عز وجل ذكر لموسى عليه السلام الحكمة من إخفاء موعدها وذلك حتى يعمل الناس ولا يركنوا كما قال تعالى في سورة طه (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦)

## ولكن الله عز وجل ذكر أن للساعة أشراطٌ وعلاماتٌ تدلُّ على اقترابها

قال تعالى في سورة محمد (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا قَالُوا لَهَا إِذَا جَاءَتْهُمْ ذَكَرَاهُمْ (١٨)، وهذه العلامات منها ما جاء في كتاب الله ومنها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه حديثاً عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَنْدَاكِرُ، فَقَالَ: مَا تَدَاكِرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: إِنَّهَا لَن تَقُومَ حَتَّىٰ تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ، الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَزُرُوقَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خُسُوفٍ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسُوفٍ بِالْمَغْرِبِ، وَخُسُوفٍ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَخْرَجَ ذَلِكَ نَارًا تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ، فَمَا نَرَىٰ ذَكَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَشْرَ عَلَامَاتٍ لِلْسَّاعَةِ وَذَكَرَ مِنْهَا الدُّخَانَ وَهَذِهِ الْعَلَامَةُ جَاءَ بِهَا سُورَةٌ كَامِلَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ سُمِّيَتْ بِاسْمِهَا وَهِيَ سُورَةُ الدُّخَانَ وَوَرَدَ فِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، وَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ إِلَىٰ أَنَّ هَذَا الدُّخَانَ مِنْ عَلَامَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا وَرَدَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، وَذَكَرَ الْحَدِيثُ أَيْضًا الدَّابَّةَ وَهِيَ وَرَدَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ (ذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَقَصَّتُهُمْ وَرَدَتْ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ (قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) أَنُونِي

رُبِّرَ الْحَدِيدُ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَنُونِي  
أَفْرَعْ عَلَيْهِ قَطْرًا (٩٦) فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا  
رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴿٥٦﴾ وَتَرَكْنَا  
بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ، فانظر كيف أخبرنا  
الله عز وجل على لسان ذي القرنين أن السد الذي جعله حاجزاً ورحمة للناس يمنع  
خروج يأجوج ومأجوج عنهم سيجعله الله دكاً عندما يجيئ وعد الله الذي وعده للناس  
وهو قيام الساعة وجمع الناس للحساب بين يدي الله عز وجل.

### وأما عن نزول عيسى عليه السلام

قال تعالى في سورة الزخرف (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون (٥٧)  
وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا  
عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي  
الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ  
(٦١)

فالله عز وجل ذكر لنا أنه جعل عيسى عليه السلام من علامات الساعة.  
ولم يُذكر عند أي من الأمم السابقة موت عيسى عليه السلام إلا في قصة واحدة وهي  
صلب اليهود له وقتله على الصليب، وهذه القصة نفاها الله عز وجل في قوله تعالى في  
سورة النساء (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ  
وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ۗ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۗ  
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)، وهنا كما نرى  
ذكر أنه لم يُصلب ولم يُقتل وإنما رُفِع عند الله ، وسينزل في آخر الزمان ليكون نزوله  
من علامات الساعة وبعدها يعيش مدة من الزمن ويموت ويحقق وعد الله عز وجل  
لمريم الذي ذكر في سورة آل عمران (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ  
(٤٦) ، فهو كلم الناس في المهدي والقصة كما جاءت في سورة مريم فقال تعالى  
(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۗ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي آنسُ اللَّهُ أَنَا  
الْكِتَابِ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا  
دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ  
وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ  
(٣٤)

ولم يُذكر أيضا في أي كتاب أو عند أي امة سابقة أنه عاش حتى صار كهلاً ولذا بقي  
أن ينزل ويعيش حتى يُكلم الناس وهو كهلاً كما جاء في كتاب الله وبعدها يموت بسلام.  
عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام أجمعين



## المبحث الحادي عشر

### مناقشة الادعاء

أن سنة الرسول هو القرآن الكريم

في صفحته التاسعة والثمانين من الكتاب وضع المؤلف عنوانا وهو (سنة الرسول هي القرآن فقط)، ثم قال تحته (السنة هي الشرع وهي الطريقة والمنهاج، وبهذين المعنيين جاءت كلمة السنة في القرآن منسوبة لله ولشرعه، ولطريقته في التعامل مع البشر مشركين ومؤمنين، وكانت سنة المشركين هي الاستكبار عن الحق وطريقة الله معهم أو سنته أن يحيق مكرهم السيء)

والمؤلف أراد أن يقصر لفظ السنة بمعنى الطريقة أو المنهاج على الله عز وجل وطريقته في الرد على المشركين.

وفي الحقيقة أرى أن المؤلف قام بالرد على نفسه فهو استهل كلامه بأن المشركين كان لهم سنة وهي (الاستكبار عن الحق) فلماذا يقول أن كلمة سنة لا تأتي إلا مع الله عز وجل وطريقته في الرد عن المشركين؟!

وبخلاف هذا التناقض الواضح والذي نعتبره (سنة) للمؤلف في كتابه هذا، هناك أمور أخرى تغافل مهمة عنها، ونذكر منها:

### أولاً: لفظ السنة ليس لفظاً مستحدثاً عند أهل الفقه أو الأصول أو الحديث وإنما هو مصطلح عربي ورد في كلام العرب

فهذا خالد بن زهير بن محرث الهذلي، ابن أخت أو ابن عم أبي ذؤيب الشاعر المشهور،- قدم أبو ذؤيب على النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً، فدخل المدينة حين مات النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يدفن،- أنشد خالد بيتاً من الشعر يرد فيه على أبي ذؤيب فقال فيه:

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ... فأول راض سنة من يسيرها

حيث أرسله أبو ذؤيب رسولا إلى امرأة، فعشقتة هذه المرأة وتركت أبا ذؤيب، فعاتبه أبو ذؤيب في ذلك، فردّ عليه خالد يقول له: أنت أول من سنّ هذه السيرة، حيث كان أبو ذؤيب فعل كذلك برجل يقال له «مالك»

### ثانياً لا مشاحة في الاصطلاح

ومصطلح السنة عند أهل العلم يختلف استخدامه وليس له معنى واحد، فالأصوليون يطلقون لفظ السنة على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته.

وبعض الأصوليين يطلق لفظ السنة على ما عمل عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سواء أكان ذلك في القرآن أم خارجه مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والفهاء يطلقون لفظ السنة على المستحب أو المندوب وهي مما جاء به الشرع مرغباً فيه ورتب عليه الأجر، ولم يجعل على تركه إثماً.

وبعض أهل العلم يطلقون لفظ السنة على ما قابل البدعة ووافق هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا لا مشاحة في الاصطلاح.

وهذا أمر ليس بغريب فمثلاً عند أهل اللغة يطلقون لفظ (الخبر) على ما ورد من أخبار، وأيضاً على ما يتم المعنى في الجملة الإسمية وهذا إطلاق أهل النحو وهكذا.

ومعلوم أن اللغة العربية لغة واسعة والعرب تستعمل اللفظ الواحد لأكثر من معنى ومحاولة قصر لفظ على معنى واحد واستبعاد ما ورد من معان أخرى له هذه لا يقول بها أحد، فكل ما يلتفت له هل المعنى تم توظيفه بما وافق السياق أم لا، ولكن لن نغير من اللغة أو نحذف معانيها وفق أهواء كل شخص، الأمر لا بد له من ضوابط تحكمه في النهاية.

### **ثالثاً: القرآن نزل بلسان العرب ولم ينزل ليحصر لنا مصطلحات العرب**

الله عز وجل أنزل لنا أحسن الحديث وتحدى به العرب والعجم والإنس والجن قديماً وحديثاً أن يأتوا بسورة تكون في مثل بلاغته وفصاحته وجمال أسلوبه ونظمه، ولكن لم يذكر أبداً أنه أنزل لنا القرآن ليحصر ألفاظ العرب فيكون ماورد فيه فقط هو لسان العرب وما خارجه من ألفاظ عربية لا يعترف بها!!!

أتعجب حقيقة ممن يريد التعامل مع القرآن على أنه معجم لغوي، بل ويريدون أن يحكموا به لغة بها ملايين الألفاظ المختلفة، كيف هذا وكلمات القرآن محدودة ومعدودة أقل بكثير من كلمات اللغة العربية.

ثم من الذي نستعمله لفهم من؟

من الذي كان موجوداً أولاً؟

هل العرب انتظرت القرآن حتى تتحدث اللغة العربية، أم كانت تتحدث العربية من قبل نزوله وهو نزل بلسانهم؟

قال تعالى في سورة إبراهيم (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)، أي أن القرآن نزل بلسان قوم الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينزل ليعلمهم اللغة العربية، فلماذا يريد البعض حصر مصطلحات اللغة في ما ورد في القرآن الكريم فقط؟

رابعاً حتى القرآن ذكر أن الناس لهم (سنن) وليس لفظ السنة حصري مع الله عز وجل

وماذا عن سنن الذين من قبلنا التي ذكرها الله عز وجل؟

فقال تعالى في سورة النساء (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦)

كيف إذن يقول أن السنة هي سنة الله فقط؟

---

المبحث الثاني عشر

مناقشة أين وأطيعوا النبي

في القرآن الكريم

كثر السؤال بين منكري السنة باستنكار: أين وأطيعوا النبي في القرآن؟

لماذا فقط وأطيعوا الرسول، ولا يوجد في القرآن وأطيعوا النبي؟

وأعجب حقاً ممن يسأل هذا السؤال، وأتساءل هل حقاً قرأ القرآن أم أنه يستعمل محركات البحث وأدوات الذكاء الاصطناعي لتبحث له في القرآن!!

بداية منكر السنة يريد التفريق بين مقام النبوة ومقام الرسالة، فيزعم أن النبي هو الشخص الذي أتاه الوحي، والرسول هو من حمل رسالة، ويكمل عبثه بأن وأطيعوا الرسول تعني أطيعوا الرسالة.

إذا لم تفهم شيئاً عزيزي القارئ فلا حرج عليك، فهذه سفسطات لا دليل عليها إلا في مخيلة منكري السنة.

المهم أنهم يزعمون أنه الخطاب للنبي في القرآن حين يخاطب بشخصه ولهذا آيات العتاب وآيات التي فيها علاقات بينه وبين زوجاته وغيرها تتحدث مع النبي بشخصه.

وبنفس هذا المبدأ تعال عزيزي منكري السنة ونسمع لقوله تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)، وكم مرة تكررت على لسان الأنبياء في سورة الشعراء، فقالها نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وحتى جاءت في سورة الزخرف على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام كما قال تعالى (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) (٦٣)

كل هؤلاء عزيزي أليسوا أنبياء؟

كلامهم عن الطاعة لشخصهم (أطيعون) أليس هذا مقام النبوة المزعوم عندك؟

**هناك المزيد من الآيات أيضا تتحدث عن عدم معصية (النبي)**

كما قال تعالى في سورة الممتحنة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ لِّقَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَعْفْرِ لَهُنَّ اللَّهُ طَّيِّبٌ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)

وقال أيضا في سورة الفرقان (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦)

**فلماذا يأمر الله عز وجل أن يتبرأ ممن يعصيه وهو يخاطبه بشخصه (عصوك)؟**

**هل تظن حقاً معصية (النبي) أمر يرضى الله عز وجل؟؟!!**

أعتقد أنه عليك أن تتريث قليلاً ولتفكر في الأمر، هداانا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه.

## خاتمة

في النهاية بعد أن استعرضنا جزءاً كبيراً من كتاب (القرآن وكفى) وما ورد فيه من اعتراضات على حجية السنة، والإشكالات التي حملتها هذه الاعتراضات، أود أن أقدم نصيحة لك أخي القارئ وهي أن تنتقي ما تقرأه وما تسمعه كما تنتقي الطعام والشراب، فالله عز وجل أحل لنا الطيبات التي تغذي الجسم ولا تضره وينتفع بها وتعينه على طاعته، ونفس الأمر مع الأفكار علينا أن ننتقي منها الطيب ونبعد عن كل خبيث يحمل معه الشبهات التي تشكك في أصول الدين، فالقلوب تتقلب ولذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك)، والثبات على الدين في زمن الفتن أمر عظيم، والأجر على قدر المشقة، كلما جاهدت نفسك في البعد عن مواطن الشبهات كلما زاد الأجر إن شاء الله.

ليكن قلبك كالزجاج صلباً لا يمتزج بما يعرض له، وشفافاً يستطيع رؤية ما يمر عليه دون أن يتأثر به، ولا تجعله كالإسفنج يمتص كل ما يتعرض له ويحفظه بداخله.

املاً قلبك بحب الله ورسوله والشوق لهما

واجعل وقتك عامراً بذكر الله

فنفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك هي بالمعصية

واسأل الله الهداية ولا تترك لنفسك فمن ركن لنفسه أهلكته ومن ركن لله فقد أوى إلى ركن شديد.

تم بحمد الله

## الفهرس

٢	المقدمة
٤	الفصل الأول (هل القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع في الإسلام)؟
٥	المبحث الأول (مناقشة الادعاء أن القرآن هو الكتاب الوحيد للمسلم)
١١	المبحث الثاني (مناقشة الادعاء أنه لا ينبغي اتباع الظن ومناقشة ما هو الحق)
١٩	المبحث الثالث (مناقشة الادعاء أن القرآن هو الحديث الوحيد الذي ينبغي اتباعه)
٢٤	المبحث الرابع (مناقشة الادعاء أن الوحي فقط في القرآن)
٢٨	المبحث الخامس (مناقشة الادعاء أن البشر مطالبون بالقرآن فقط)
٣٢	المبحث السادس (مناقشة الاعتراض على حديث أوتيت القرآن ومثله معه)
٣٦	المبحث السابع (مناقشة الادعاء أن القرآن لم يفرط في شيء)
٤٣	المبحث الثامن (مناقشة الادعاء أن القرآن هو الذكر الذي نزل على النبي)
٤٧	المبحث التاسع (مناقشة الادعاء أن القرآن تام لا يحتاج لشيء)
٥٢	المبحث العاشر (مناقشة الادعاء أن القرآن وحده هو صراط الله المستقيم)
٥٦	المبحث الحادي عشر (مناقشة الادعاء أن القرآن هو الحكمة)
٦٢	الفصل الثاني (المناقشة حول (الرسول والنبي)
٦٣	تمهيد
٦٧	المبحث الأول (مناقشة الادعاء أن الخطاب في القرآن ب(النبي) يراد به شخص الرسول صلى الله عليه وسلم
٧٥	نيذة عن آيات العتاب
٧٩	المبحث الثاني (مناقشة الادعاء أن الطاعة ليست لشخص النبي وإنما للرسالة وأن الرسول تعني الرسالة)
٨٩	المبحث الثالث (مناقشة الادعاء أن أقوال النبي تختلف عن أقوال الرسول)
١٠١	المبحث الرابع (هل فرق القرآن بين موسى النبي وموسى الرسول؟)
١٠٦	المبحث الخامس (مناقشة الادعاء أن ما على الرسول إلا البلاغ)
١١٠	المبحث السادس (مناقشة الادعاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحكم بالقرآن وحده)
١١٧	المبحث السابع (مناقشة الادعاء أن طاعة الرسول هي طاعة القرآن)
١٢٣	المبحث الثامن (مناقشة الادعاء أن الاتباع للقرآن ولا اتباع للرسول صلى الله عليه وسلم)
١٢٧	المبحث التاسع ( مناقشة الادعاء أن ليس للنبي أن يجتهد في التشريع )
١٣١	فوائد تدبر القرآن
١٣٤	المبحث العاشر ( كلام الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغيب وعلامات الساعة)
١٤٠	المبحث الحادي عشر (مناقشة الادعاء أن سنة الرسول هو القرآن الكريم)
١٤٤	المبحث الثاني عشر ( مناقشة آين وأطيعوا النبي في القرآن الكريم)
١٤٦	خاتمة